الفصل العاشر والأخير

قصة الأشقياء الفجار المحاربين لدين الله وزعيمهم (كَعْبِ بنِ الأشرف)

obeikandl.com

obeikandl.com

المحاربونَ دين الإسلام
قصة مقتل «كعب بن الأشرف»

٥٩

تحدَّثْنا عن أصحابِ رسولِ اللَّه، الأبرار الأطهار الغُرّ الميامين، الذين قدَّموا أرواحهم نصرةً لدين اللَّه، وبذلوا ما يملكون من أموال في سبيل الإسلام، فنالوا عزَّ الدنيا، ورضوانَ اللَّه تعالى.

ونتحدَّث الآن عن الأشقياءِ الفجار، المحاربين لدين اللَّه، سواء أكانوا من اليهود، أم من المنافقين المذبذبين، الذين تستَّروا بستار الإسلام، وهم أعداءُ ألدَّاءُ لهذا الدين الإسلامي الحنيف، أم من غيرهم من الكفرة الفجرة، ونبدأ بذكر مقتل عدوِّ اللَّه (كَعْبِ بنِ الأشرف) اليهودي الخبيث.

من هو كعبُ بن الأشرف

(كعبُ بنُ الأشرف) أحدُ أبرز رجالات اليهود الخبثاء، كان يدبِّر المكائد، ويحيكُ المؤامراتِ للنبيِّ ﷺ، وأتباعِه المؤمنين، وكان يسكن في أطرافِ المدينة، وقد كان صلواتُ اللَّه وسلامُه عليه، حين قدم المدينة المنورة، عاهدَ اليهودَ، على ألَّا يُعِينوا عليه الأعداء من كفار مكة، ويعيشوا معه في أمنٍ وأمان، تحت رعايةِ وحمايةِ دولة الإسلام.

ولكنَّ الخبيثَ وأتباعَه، نقضوا العهدَ مع رسول اللَّه ﷺ، فقد ذهب (كعبٌ) مع نفرٍ من اليهود، إلى أهلِ مكة، يحضُّونهم على قتال رسول اللَّه ﷺ، ويقولون لهم: نحن معكم فأعينونا على حرب (محمد)، لنخرجه من ديارنا في المدينة، فإننا لا نصبر على بقائه معنا، ونريد أن نتخلَّصَ منه!!

بقي الخبيثُ يُرغِّبهم ويُشجِّعهم، على حرب الرسول حتى عزموا على ذلك في (غزوة الأحزاب)، وسأله كفار قريش: هل نحنُ أهدى سبيلاً؟ أم محمد وأصحابُه أهدى منَّا سبيلاً؟ فقال لهم اللعينُ: بل أنتم واللَّهِ أهدى منه سبيلاً، ودينكم خيرٌ من دينه!!

وفي هذا الخبيث وأنصاره نزلت هذه الآية الكريمة: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ نَصِيبًا مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ يُؤْمِنُونَ بِٱلْجِبْتِ وَٱلطَّٰغُوتِ وَيَقُولُونَ لِلَّذِينَ كَفَرُوا۟ هَٰٓؤُلَآءِ أَهْدَىٰ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ سَبِيلًا ۞ أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَعَنَهُمُ ٱللَّهُ ۖ وَمَن يَلْعَنِ ٱللَّهُ فَلَن تَجِدَ لَهُۥ نَصِيرًا﴾ [النساء: ٥١ ـ ٥٢].

openkar.com

رسولُ اللَّه ﷺ يرغب في التخلُّص من الخبيث

روى البخاري في صحيحه عن جابر بن عبد اللَّه رضي اللَّه عنه أنه قال:

(قال رسولُ اللَّه ﷺ: مَنْ لكعبِ بنِ الأشرف؟ فإنه قد آذى اللَّهَ ورسوله!!

فقام: «محمدُ بنُ مسلمة» فقال: يا رسولَ اللَّه، أتحبُّ أن أقتله؟ قال: نعم.

قال: فأذنْ لي يا رسولَ اللَّه أن أقول شيئاً ـ أي أتكلَّم بشيءٍ عنك ـ قال له: قُل ما شئتَ!

فأتاه محمدُ بن مَسْلَمة، فقال لكعبِ بن الأشرف: إنَّ هذا الرجل ـ يعني محمداً ﷺ ـ قد سألَنا الصَّدقةَ، وإنه قد عَنَّانَا ـ أي أتعبنا وأجهدنا بكثرة مطالبه ـ وإني قد أتيتُك أستقرضُ منك بعض المال لنؤدِّي ما علينا!!

فقال له عدوُّ اللَّهِ: واللَّهِ لَتَمَلُّنَّه أيضاً وتكرهونه، وأنا أحذِّركم منه!

قال: فإنَّا قد اتَّبعناه، ولا نحبُّ أن نتركه، حتى ننظر، إلى أيِّ شيءٍ يصير شأنه!؟ وقد أردْنا أن تُسْلِفنا وَسْقاً أو وَسْقين!

قال: نعم، ولكنْ ارهنوني!

قال: وأيّ شيءٍ تريد أن نرهنك؟ قال: ارهنوني نساءَكم!

قال: كيف نرهنك نساءنا وأنتَ أجملُ العرب؟

قال: فارهنوني أبناءكم! قالوا: كيف نرهنُكَ أبناءَنا؟ حتى إذا سُبَّ أحدُهم، يقال: إنه رُهنَ بوسْقٍ أو وسْقين ـ والوسقُ ستون صاعاً ـ هذا عارٌ علينا!!

ولكنْ إن شئتَ نرهنُكَ اللأْمةَ ـ يعني السلاحَ ـ فَوَاعَده أن يأتيه ليلاً!!

فجاءه ليلاً ومعه (أبو نائلة) وهو أخو (كعب بن الأشرفِ) من الرضاعة، فدعاهم إلى الحِصْن، فدخلوا فنزل إليهم، فقالت له امرأته: أين تنزل هذه الساعة؟ أخشى عليك الخَطَر!

فقال لها كعب: إنما هو «محمدُ بنُ مسلمة» وأخي «أبو نائلة»!!

فقالت: أسمعُ صوتاً كأنه يقطرُ منه الدَّمُ!

قال: لا خوفَ عليَّ، إنَّ الكريمَ لو دُعي إلى طَعْنةٍ بليلٍ لأجابَ!

ويدخل (محمدُ بن مسلمة) ومعه رجلان إلى الحِصْنِ، ويخبرهما فيقول: إذا ما جاء فإني آخذٌ بشعره فأشمُّه، فإذا رأيتموني استمكنتُ من رأسه فدونكم، فاضربوه واقتلوه.!

فنزل إليهم متوشّحاً، وهو يَنْفَح منه ريحُ الطِّيب!

فقال له ابنُ مسلمة: ما رأيتُ كاليوم ريحاً أطيبَ من هذا الطِّيب.!

قال له كعب: عندي أعطرُ نساء العرب، وأجملُ نساء العرب.

فقال: أتأذنُ لي أن أَشمَّ رأسك؟ قال: نعم، فشمَّه!

ثم قال لأصحابه: شمُّوا رأسه فَشَمُّوه!

ثم قال له: هل تأذن لي أن أشمَّ رأسك مرَّة أخرى؟ فقد فتنني هذا الطيبُ!

فأذن له، فلمَّا استمكن منه وأمسك بشعره، أشار إلى أصحابه أن دونكم فاقتلوه، فقتلوه ثم خرجوا، ولم يشعر بهم أحد من أهله، فجاءوا إلى رسول اللَّه ﷺ فأخبروه، فحمدَ اللَّهَ وأثنى عليه[1].

لقد أراح اللَّه المؤمنين، من شرّ هذا الخبيث الفاجر، الذي ما كان يكفُّ عن عداوته للرسول والمؤمنين، ويحيك الدسائس والمؤامرات، بين الأوس والخزرج، وقد سمَّاه اللَّه تعالى (بالطاغوت)، لكثرة فجوره وطغيانه، في قوله جلَّ ثناؤه: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ يَزْعُمُونَ أَنَّهُمْ ءَامَنُوا۟ بِمَآ أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ يُرِيدُونَ أَن يَتَحَاكَمُوٓا۟ إِلَى ٱلطَّٰغُوتِ وَقَدْ أُمِرُوٓا۟ أَن يَكْفُرُوا۟ بِهِۦ وَيُرِيدُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَن يُضِلَّهُمْ ضَلَٰلًۢا بَعِيدًا﴾ [النساء: ٦٠] فقد كان هذا اليهودي الخبيث، من دهاقنة الفتنة، وكهفاً للمنافقين المتآمرين على الإسلام، وبقتله أراح اللَّه من شرِّه البلادَ والعباد!

هكذا قُتِلَ عدوُّ اللَّهِ (كعبُ بن الأشرف) وكان قتلُه بهذه الطريقة الرائعة المحكمة، التي دبَّرها له ذلك الشاب المؤمن (محمد بنُ مسلمة) رضي اللَّه عنه، بتخطيط دقيق، نالَ إعجاب الرسول ﷺ وأتباعه المؤمنين.

* * *

(١) رواه البخاري في المغازي ٣/ ١٧ باب قتل كعب بن الأشرف.

obeikandl.com

العدوُّ اللَّدودُ للإسلام
مقتل (فِنْحَاصَ بن عازوراء)
رئيس أحبار اليهود

(٦٠)

من طبائع أخلاق اليهود، التي أصبحت سجيَّة من سجاياهم، وسرت في عروقهم ودمائهم، أنهم أمة باغية، جُبِلتْ على المكر، والخبث، والكيد، والسعي في الأرض بالفساد، لا ينفكُّون عن ذلك في قديم الزمان وحديثه.!

وقد أوجز القرآن الكريم حقيقتهم، وكَشَف عن خبث نواياهم، بهذا التصوير البياني المبدع، في قول اللَّه عزَّ وجلَّ: ﴿كُلَّمَآ أَوْقَدُوا۟ نَارًا لِّلْحَرْبِ أَطْفَأَهَا ٱللَّهُ وَيَسْعَوْنَ فِى ٱلْأَرْضِ فَسَادًا ۚ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلْمُفْسِدِينَ﴾ [المائدة: ٦٤] وردت الآية بصيغة المضارع ﴿وَيَسْعَوْنَ﴾ لإفادة الدوام والاستمرار، أي هم مستمرون في الفساد والإفساد.

ولقد بلغ من فجورهم وإجرامهم، أنهم اتهموا الذات الإلٰهية ربَّ العزَّةِ والجلال ـ بالبخل فقالوا: ﴿يَدُ ٱللَّهِ مَغْلُولَةٌ﴾ [المائدة: ٦٤] يعنون أنه بخيل، واتهموه بالفقر، فقالوا: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ﴾ [آل عمران: ١٨١] واتهموه بالعجز والضعف، فزعموا أن اللَّه تعالى لمَّا خلق السمٰوات والأرض في ستة أيام، تَعِب في اليوم السابع، فاستلقى على قفاه ـ على ظهره ـ وقالوا: كان هذا اليوم (يومَ السبت) وهو يوم راحة الرب، لا يصحُّ لنا العمل فيه!!

فنزل القرآن الكريم يكذِّبهم، ويكشف افتراءهم وبهتانهم على اللَّه: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ وَمَا مَسَّنَا مِن لُّغُوبٍ﴾ [ق: ٣٨].

لُغُوبٌ: تعبٌ ومشقة، أي ما أصابنا من تعب ولا مشقة في خلقهما، واللَّهُ تعالى قادر على أن يخلقهما بلمح البصر، ولكنه أراد أن يعلِّم العبادَ التأنِّي، كما قاله ابن عباس رضي اللَّه عنهما.

ولْنرجع الآن إلى قصة (فِنْحاصَ بنِ عازوراء) فِنْحَاصُ هذا أحدُ دَهَاقِنةِ اليهود، وأحد أحبارها وعلمائها، كان اليهود يرجعون إليه في أمور دينهم،

ويتحاكمون عنده في خصوماتهم، وإذا قال قولاً استجابوا له وأطاعوه، اعتقاداً منهم بحكمته وحِنكته، وأنه الزعيم الروحي لجماعة اليهود!!

أبو بكر الصِّدِّيق يلتقي بزعيم اليهود

دخل (أبو بكر الصِّدِّيق) رضي اللَّه عنه مِدْراسَ اليهود ـ أي مجتمعهم وناديهم ـ فوجدهم قد اجتمعوا على عَظِيم فيهم، وزعيم لهم، اسمه (فِنحاص بن عازوراء) وكان من أحبارهم وعلمائهم، فقال له أبو بكر رضي اللَّه عنه: يا فِنحاصُ، اتَّقِ اللَّهَ وأَسْلِمْ، فواللَّهِ إنك لتعلمُ أن محمداً رسولُ اللَّه، جاءكم بالحقِّ من عند ربه، تجدونه مكتوباً عندكم في التوراة والإنجيل!!

فقال له الخبيث (فِنْحاص): واللَّهِ يا أبا بكر، ليس لنا من حاجة إلى اللَّه من فقر، وإنه إلينا لفقير، يطلب منَّا القرض[1]، ولو كان غنياً ما استقرض، يُحرِّم علينا الربا، ويعطينا الربا أضعافاً مضاعفة[2]!!

لم يصْبِرْ أبو بكر على سماع هذا الكلام الشنيع، من هذا الخبيث الفاجر، فضرب وجه (فِنْحاصَ) ضربةً شديدَة، سال منها الدمُ، وقال له: واللَّهِ يا عدوَّ اللَّه، لولا العهد الذي بيننا وبينكم، لضربتُ عنقك بالسيف، تزعم أن اللَّه فقير، وأنك غنيٌّ عنه!؟

ثم خرج من مجتمع اليهود، وهو ممتلئٌ غضباً وألماً!!

ما كان من عدوِّ اللَّه (فنحاص) إلَّا أن ذهب إلى رسول اللَّه ﷺ يشكو (أبا بكر) ما صنع به، من تلك الضربة العنيفة، التي أسالت الدَّمَ منه، وكاد يهشم بها وجهه!

فلمَّا وصل إليه والدَّمُ يسيل على ثيابه، قال: يا محمد، انظر إلى ما صنع بي صاحبك؟ ـ يقصد به أبا بكر ـ أهذا هو العهد الذي بيننا وبينكم؟

وجاء أبو بكر رضي اللَّه عنه، فوجد الخبيثَ قد سَبَقه إلى رسول اللَّه يشكو أمره، ومعه شرذمةٌ من أنصاره اليهود، ولمَّا وصل عاتبه الرسولُ ﷺ، وقال له: لِمَ صنعتَ هذا بالرجل يا أبا بكر؟

فقال له أبو بكر: يا رسول اللَّه! لقد قال قولاً شنيعاً، قال: إن اللَّه فقير

---

(١) يشير إلى قوله تعالى: ﴿مَّن ذَا ٱلَّذِى يُقْرِضُ ٱللَّهَ قَرْضًا حَسَنًا فَيُضَٰعِفَهُۥ لَهُۥ﴾ [الحديد: ١١].

(٢) يشير إلى قوله تعالى: ﴿مَّثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ كَمَثَلِ حَبَّةٍ أَنۢبَتَتْ سَبْعَ سَنَابِلَ فِى كُلِّ سُنۢبُلَةٍ مِّا۟ئَةُ حَبَّةٍ وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُ﴾ [البقرة: ٢٦١].

ونحن أغنياء، ولو كان غنياً ما طلب منَّا القرض، وإن اللَّه يحرِّم الربا على عباده، ثم يعطيهم الربا!!

فجحد (فنحاص) ذلك، وقال: يا محمد، إن صاحبك يَتَّهِمُني ويفتري عليَّ، وشهد له أتباعه الخبثاءُ، بأنه لم يقل شيئاً من هذا، فأنزل اللَّه على رسوله هذه الآيات، تصديقاً لأبي بكر، وردّاً على الكافر الفاجر: ﴿لَقَدْ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوْلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٌ وَنَحْنُ أَغْنِيَآءُ سَنَكْتُبُ مَا قَالُواْ وَقَتْلَهُمُ ٱلْأَنۢبِيَآءَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَنَقُولُ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ * ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ [آل عمران: ١٨١ ـ ١٨٢].

ما نزل من الآيات في شأن اليهود

هذا ما قاله اليهود الخبثاء، في ذات الربّ جل وعلا، سجَّله عليهم القرآن، ليكشف لنا حالهم، ويوضِّح لنا ما في نفوسهم من خبثٍ، وكيد، ومكر، حتى نحذرهم، ونعلم حقيقة أمرهم، فهم أمة طاغية باغية، قتلوا الأنبياء، وسفكوا دماء الأبرياء، واتهموا اللَّه باتهامات قبيحة شنيعة، لا تصدر إلَّا من كافر شقي فاجر، فكيف يُؤمن مكرُهم؟ وكيف يوثق بعهودهم التي يعاهدون بها المؤمنين؟ إنهم كما أخبر عنهم الكتاب العزيز، أناس مفسدون، لا يستمسكون بعهد، ولا يوفون بوعد ﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ * ٱلَّذِينَ عَٰهَدتَّ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِى كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لَا يَتَّقُونَ * فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِى ٱلْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِم مَّنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ﴾ [الأنفال: ٥٥ ـ ٥٧]. نزلت هذه الآيات الكريمة في يهود (بني قريظة) عاهدوا رسولَ اللَّه ﷺ على ألَّا يحاربوه، وألَّا يعينوا عليه أحداً من مشركي مكة، وأن يعيشوا معه في المدينة في أمنٍ وأمان، ثم نقضوا معه العهد!!

لقد توجَّه أحد زعمائهم (كعبُ بن الأشرف) الذي تقدَّمت قصَّتُه، إلى زعماء الكفر من قريش، وتعاقد معهم على أن يحاربوا رسولَ اللَّه، ويعينهم اليهود على حربه وذلك في (غزوة الخندق). ثم تكرَّر منهم نقضُ العهد مرات، حتى كان نتيجة أمرهم أن طُردوا من المدينة وأُجْلُوا عنها، وطهَّر اللَّه تلك الأرض الطيبة المباركة، من رجس هؤلاء الخبثاء المجرمين ﴿مَا ظَنَنتُمْ أَن يَخْرُجُواْ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُم مَّانِعَتُهُمْ حُصُونُهُم مِّنَ ٱللَّهِ فَأَتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِنْ حَيْثُ لَمْ يَحْتَسِبُواْ وَقَذَفَ فِى قُلُوبِهِمُ ٱلرُّعْبَ يُخْرِبُونَ بُيُوتَهُم بِأَيْدِيهِمْ وَأَيْدِى ٱلْمُؤْمِنِينَ فَٱعْتَبِرُواْ يَٰٓأُوْلِى ٱلْأَبْصَٰرِ﴾ [الحشر: ٢].

بُغْضُ اليهود لأمين السماء جبريل عليه السلام

ومن مخازي اليهود، وجرائمهم التي لا تتناهى، بغضُهم للملائكة، وزعمهم

أنهم شعب اللَّه المختار، اختارهم اللَّهُ من بين جميع الخلق، ليكونوا أحباباً له وأولياء، وهذا منهم مجرد (الظنِّ والوَهْم) وقد كشف القرآن كذبهم ودعواهم، بقوله سبحانه: ﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ هَادُوٓاْ إِن زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَآءُ لِلَّهِ مِن دُونِ ٱلنَّاسِ فَتَمَنَّوُاْ ٱلْمَوْتَ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ * وَلَا يَتَمَنَّوْنَهُۥٓ أَبَدًۢا بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِٱلظَّٰلِمِينَ * قُلْ إِنَّ ٱلْمَوْتَ ٱلَّذِى تَفِرُّونَ مِنْهُ فَإِنَّهُۥ مُلَٰقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الجمعة: ٦ ـ ٨].

والآيات الكريمة جاءت ردًّا على افتراء اليهود، في زعمهم أنهم أولياء اللَّه وقولهم: ﴿نَحْنُ أَبْنَٰٓؤُاْ ٱللَّهِ وَأَحِبَّٰٓؤُهُۥ﴾ [المائدة: ١٨] وقولهم: ﴿لَن يَدْخُلَ ٱلْجَنَّةَ إِلَّا مَن كَانَ هُودًا﴾ [البقرة: ١١١] أي لا يدخل الجنة إلا من كان يهودياً متمسكاً بالعقيدة اليهودية، منتسباً إلى بني صهيون.! وهذه دعوى كاذبة اخترعها اليهود من تلقاء أنفسهم، ونسبوها إلى اللَّه تعالى، ولهذا كذَّبهم اللَّه بقوله: ﴿قُلْ فَلِمَ يُعَذِّبُكُم بِذُنُوبِكُم ۖ بَلْ أَنتُم بَشَرٌ مِّمَّنْ خَلَقَ ۚ يَغْفِرُ لِمَن يَشَآءُ وَيُعَذِّبُ مَن يَشَآءُ ۚ . . .﴾؟ [المائدة: ١٨].

امتحانُ اليهود للرسول ﷺ

لقد أبغض اليهود (جبريل) عليه السلام، لأنه يأتي بالشدة والعذاب، وأحَبُّوا (ميكائيل) لأنه يأتي بالرزق والرحمة!!

ولْنستمع إلى هذه القصة الغريبة.!

رُوِي أن اليهود جاءوا إلى رسول اللَّه ﷺ يمتحنونه، ليتحققوا هل هو رسول اللَّه الذي بشَّرت به التوراة والإنجيل، أم هو مدَّع للنبوة، يزعم أنه رسول اللَّه؟

فقالوا: يا محمد، إنَّا نسألك عن خمسة أشياءَ، إن أجبتنا عنها عرفنا أنك رسولُ اللَّه، فآمنَّا بك واتَّبعناك!!

فقال لهم صلوات اللَّه عليه: سَلُوا ما بدا لكم؟

١ ـ قالوا: ما علامةُ النبيِّ؟ قال لهم: تنام عيناه ولا ينام قلبُه! قالوا: صدقتَ.!

٢ ـ **قالوا**: ما أوَّلُ طعام يُقدَّم لأهل الجنة، حينما يدخلون الجنة؟

قال لهم: زيادةُ كبد حوتٍ من حيتان الجنة! قالوا: صدقت!!

٣ ـ قالوا: فما هو الطعامُ الذي حرَّمه يعقوب على نفسه؟

قال لهم: تعلمون أن (يعقوب) اشتكى ـ أي مرض ـ فأصابه «عِرقُ النَّسا» وكان لا ينام الليلَ من الوجع، فنَذَر إن شفاه اللَّه من ذلك المرض، أن لا يأكل

أحبَّ الطعام إليه[1]، وكان أحبَّها إليه (لحومُ الإبل وألبانُها) فلمَّا شفاه اللَّه حرَّمها عليه!!

قالوا: صدقتَ، يا أبا القاسم!!

٤ - وسألوه ﷺ عن المرأة، كيف تلد بالذكر أو بالأنثى؟ وكيف يكون له شَبَهٌ بأبيه أو بأمه؟

فقال لهم ﷺ: إذا علا ماءُ الرجلِ ماءَ المرأة - أي غلب عليه - أَذْكَرتْ بإذن اللَّه - أي جاءت بالذَّكر - وإن علا ماءُ المرأةِ ماءَ الرجل، أنَّثت بإذن اللَّه تعالى - أي جاءت بالأنثى -!! قالوا: صدقتَ يا أبا القاسم!!

٥ - **قالوا: بقيت مسألة واحدة، إن أنت أجبتنا عنها، آمنَّا بك واتَّبعناك!** من يأتيك بالوحي والرسالة؟

قال: جبريلُ عليه السلام!! قالوا: جبريلُ، ذاك عدوُّنا ينزل بالحرب وبالقتال والعذاب، ولو قلتَ: ميكائيل الذي ينزل بالرحمة، والخِصب، والمطر، لآمنا بك واتبعناك!؟ فأنزل اللَّه عزَّ وجلَّ: ﴿قُلْ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّجِبْرِيلَ فَإِنَّهُۥ نَزَّلَهُۥ عَلَىٰ قَلْبِكَ بِإِذْنِ ٱللَّهِ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ۝ مَن كَانَ عَدُوًّا لِّلَّهِ وَمَلَٰٓئِكَتِهِۦ وَرُسُلِهِۦ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَىٰلَ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَدُوٌّ لِّلْكَٰفِرِينَ﴾ [البقرة: ٩٧ - ٩٨].

* * *

(١) يشير إلى قول اللَّه تعالى: ﴿كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ ٱلتَّوْرَىٰةُ قُلْ فَأْتُوا۟ بِٱلتَّوْرَىٰةِ فَٱتْلُوهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ﴾ [آل عمران: ٩٣].

شقيٌ آخر من أعداء الإسلام
قصة مقتل أبي رافع اليهودي

٦١

(أبو رَافِع) أحدُ أبالسة الكفر، ودعاةِ الشرِّ والضَّلال، اسمه (سلَّامُ بنُ أبي الحُقَيْق) وهو كسلفه (كعب بن الأشرف) يهوديٌّ مغرِقٌ في الكفر والضلال، وأحد أساطين الشرِّ والفتنة، كان بخيبر في قصرٍ له حصين، يدير الدسائس، ويحيك المؤامرات للرسول ﷺ والمؤمنين، بخُبثٍ، وتخطيط، ودَهَاء.!

ولنستمع إلى قصة مقتله، من حديثٍ صحيح، رواه الإمام البخاري في كتاب المغازي، حيث يقول:

عن البراء بن عازب رضي اللَّه عنه أنه قال: (بعثَ رسولُ اللَّه ﷺ إلى (أبي رافع) اليهودي رجالاً من الأنصار، وأمَّر عليهم (عبدَ اللَّهِ بنَ عتيك) ـ أي جعله أميراً عليهم ـ وكان (أبو رافع) يؤذي رسولَ اللَّه ﷺ، ويعينُ عليه الأعداء، فانطلقوا حتى دنوا من الحِصْن، فقال (عبد اللَّه) لأصحابه: اجلسوا مكانكم، فإني منطلقٌ ومتلطِّفٌ بالبوَّاب، لعلِّي أن أدخل الحِصْن!!

فانطلق حتى دنا من الباب، ثم تقَنَّعَ ـ أي تستَّر ـ بثوبه كأنه يقضي حاجة!

ثم نادى البوَّابُ: من أراد أن يدخل الحِصْنَ فلْيدخلْ، قبل أن أُغلق الباب، قال: فدخلتُ وهو يظنُّ أنني رجلٌ من أهل الحِصْن، ثم اختبأتُ في مربط حمار ـ يعني الإسطبل ـ عند باب الحِصْن، ورأيتُ صاحب الباب حيث وضع مفتاح الحصن في (كوَّة) ـ أي فتحة في الحائط ـ وكان القوم يتعشون عند (أبي رافع)، ويَسْمُرون عنده زمناً من الليل، وكان في علاليَّ له ـ أي قصرٍ عالٍ في الحصن ـ فلما انصرفوا من عنده إلى منازلهم، وهدأت الأصواتُ، وطُفئت الأنوار، ولا أسمع حركة، خرجتُ فأخذتُ المفتاحَ، ففتحتُ به باب الحِصْن، وقلتُ: إن نَذِرَ بيَ القومُ ـ أي علِموا وأحسُّوا بي ـ خرجتُ من الحصن بيسرٍ وسهولة بعد أن أقتله، لأن الباب مفتوح، ثم صعدتُ إلى (أبي رافع) في سُلَّم، فإذا البيت مظلمٌ، قد طُفئ سراجُه، ولم أدرِ أين هو؟ ولا أينَ مكانه؟

obeikandl.com

فقلت: يا أبا رافع، قال: من هذا؟ فأهويتُ نحو الصوتِ، فأضربه ضربة بالسيف وأنا دَهِشٌ ـ أي محتار كيف سأقتله ولا أعرف مكانه ـ فلم تُغْنِ هذه الضربةُ شيئاً، وصاح الخبيثُ، فخرجتُ من البيت، ومكثتُ قليلاً، ثم جئتُ كأني أغيثُه، فقلتُ: ما لَكَ يا أبا رافع؟ وغيَّرتُ صوتي!! **فقال**: لأُمِّك الويلُ، دخلَ عليَّ رجلٌ فَضَربني بالسيف، حتى كاد أن يقتلني!

قال: فهويتُ نحوه بالسيف، فضربتُه ضربةً أثْخَنَتْه ـ أي ما عاد يستطيعُ الحركة من شدَّةِ الضربة ـ ولم أقتلْه، ورأيتُه مستلقٍ على ظهره، فوضعتُ السيفَ في بطنه، واعتمدتُ بثقلي عليه، حتى سمعتُ صوت العظم يُصَلْصِلُ ـ أي يُسمع صوتُه لأنه وصل إلى العمود الفقري ـ فعرفتُ أني قتلتُه، ثم خرجتُ دَهِشاً ـ أي مبهوتاً ـ حتى أتيتُ السُّلَّم، أريد أن أنزل منه، وأذهبَ إلى باب الحِصْن، فوضعتُ رجلي وأنا أظنُّ أني قد انتهيتُ من السُّلَّم ووصلتُ إلى الأرض، فوقعتُ في ليلةٍ مقمرة، فانكسرتْ ساقي، فعصبتُها بعمامةٍ، ثم أتيتُ إلى الباب وأنا أَعْرُجُ، ثم جلستُ على باب الحصن، فقلتُ: لا أخرجُ الليلةَ حتى أعلمَ أقتلته؟

قال: فلمَّا صاح الديكُ ـ أي دخل وقتُ الفجر ـ قامَ النَّاعي على السُّور، فنادى: أَنْعَى (أَبَا رافع) تاجر أهلِ الحجاز ـ أي أَنْقلُ إليكم نبأ وفاته، فانطلقتُ إلى أصحابي، فقلت لهم: النَّجاءَ، النَّجاءَ، فقد قتلَ اللَّهُ الخبيثَ (أَبَا رافع) فانطلقوا فبشَّروا رسول اللَّه ﷺ!!

يقول عبدُ اللَّه بنُ عَتيك: (فلمَّا وصلتُ إلى رسول اللَّه ﷺ فحدَّثتُه بمقتله حمدَ اللَّه تعالى، فقال لي: ابسُطْ رِجْلَكَ ـ أي مدَّها ـ فبسطتُ رجلي، فمسَحَها ﷺ، فكأنني لم أشتكها قطُّ)[1].

هذه قصةٌ موجزة، لشقيّ من كبار أبالسة الكفر، من اليهود الخبثاء، الذين كانوا يحيكون المؤامرات والدسائس، لإطفاء نور الإسلام، أهلكه اللَّه على يد بعض الأنصار، نقلناها من صحيح الإمام البخاري رحمه اللَّه تعالى، والحمد للَّه ربِّ العالمين، مُهلكِ الطغاةِ الظالمين.!

* * *

(١) رواه البخاري في المغازي ٣/ ١٨ باب قتل أبي رافع بن أبي الحُقَيق.

نقض اليهود للعهود
قصة مقتل ابن شيبة اليهودي

٦٢

لمَّا نقَضَ يهودُ (بني قريظة) عهدهم مع رسول اللَّه ﷺ، ونكثوا العهد، وانتهت غزوةُ الأحزاب، بانتصار المؤمنين، وخذلان المشركين، قال رسول اللَّه ﷺ لأصحابه: من ظفرتم به من رجال يهودَ فاقتلوه!

فوثبَ رجلٌ من المسلمين اسمه (محيِّصة) على (ابنِ شيبة) رجل من تجار اليهود، كان يخالطهم ويبايعهم، فقَتَله حتى أجهز عليه!!

وكان لمحيِّصة أخ لم يُسلم بعدُ، كان أكبرَ منه، اسمه (حُوَيِّصةُ) فلمَّا قتله، جاءه أخوه فجعل يضربه ويقول له: يا عدوَّ اللَّه، أقتلتَه؟ أَمَا واللَّهِ لَرُبَّ شَحْم في بطنك من ماله!! ـ أي لقد غَذاك بماله حتى سمنتَ من طعامه، ثم تقتله؟ ـ

فقال له أخوه (مُحَيِّصة): واللَّهِ لقد أمرني بقتله، مَنْ لو أمرني بقتلِكَ ـ وأنتَ أخي ـ لضربتُ عُنُقَك!!

فقال له (حُوَيِّصة): آللَّهِ إنْ أمرَكَ محمدٌ بقتلي، تقتُلني وأنا أخوك؟

قال: نعم واللَّهِ، لا أتأخر عن ذلك لحظة!

فقال له (حُوَيِّصة): واللَّهِ إن دِيناً بلغَ بك هذا المبلغ، أن تقتل أخاك من أبيك وأمك، إنَّ أمرَهُ لعجيب!

شرح صدر حُوَيِّصة للإسلام

ثم شرح اللَّهُ صدر أخيه للإسلام، فأسلم (حُوَيِّصَة) رضي اللَّه عنه وأرضاه، وعرف أن الإسلام دين حقّ، من موقف أخيه، الذي قاله له: واللَّهِ لو أمرني محمدٌ بقتلك، وأنت أخي لقتلتُك[1]!

وهذا ما يؤكِّد مبلغ الاستجابة، لأمر اللَّه عزَّ وجلَّ، في قطع العلاقة بين

(١) أخرجه أبو نعيم في الحلية، وصاحب كنز العمال ٧/ ٩٠.

obeikandl.com

(المؤمنِ) و(الكافر) فإنَّ حقيقةَ الإيمان، تستدعي عدمَ محبة المناوئين لدينِ اللَّه، مهما كانت القرابةُ قويَّةً، وقد رأينا فيما سَبَق كيف قَتَل (أبو عبيدةَ) أباه (الجرَّاحَ) في غزوة بدر، وكيف قتل (مصعبُ بنُ عمير) أخاه (عُبَيْدَ بنَ عُمير) وسيدنا أبو بكر رضي اللَّه عنه، حين همَّ أن يقتل ولده (عبد الرحمن) ولكنه هرب منه، بعد أن كاد يقضي عليه، وفيهم نزلت هذه الآية الكريمة: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ﴾ [المجادلة: ٢٢].

* * *

obeikandl.com

ذكرُ طائفةٍ من الأشقياء
قصة مقتل مدّعي النبوّة
مسيلمة الكذاب

(٦٣)

(مسيلمةُ الكذاب لعنهُ اللَّهُ) اسمٌ لمدّعي النبوّة في عهد النبي ﷺ، زَعَم أنه رسولٌ يُوحى إليه، كما يُوحى إلى محمد، وصار له أتباع وأنصار، آمنوا بنبوّته واعتقدوا بصدقه، وقد ظهر في (اليمامة) من أرض نجد، وكثُر أنصارُه وأتباعُه.

استنفر (أبو بكر الصّدّيق) رضي اللَّه عنه المسلمين، إلى قتال (مسيلمةَ الكذاب) وقتال أهل اليمامة، فخرجوا جهةَ نجدٍ لقتالهم، وكان (أهلُ اليمامة) أهلَ حربٍ وقتال، وسفكٍ للدماء، يؤكّد هذا قولُ اللَّه تعالى: ﴿قُل لِّلْمُخَلَّفِينَ مِنَ ٱلْأَعْرَابِ سَتُدْعَوْنَ إِلَىٰ قَوْمٍ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ تُقَٰتِلُونَهُمْ أَوْ يُسْلِمُونَ﴾ [الفتح: ١٦] فلما التقى بهم المسلمون، ودارت المعركة قُتِلَ من جماعةِ (مسيلمةَ) عددٌ منهم وفيرٌ، وقُتل من المسلمين عددٌ كبير، ثم انهزم المسلمون، فلم يصبروا على أعدائهم، لكثرتهم، وقوة بطشهم، وإثخانهم للمسلمين.

نيلُ (أبي عقيل الأنصاري) الشهادة في سبيل اللَّه

كان أول من جُرِح من الناس، رجلٌ من الصحابة يسمَّى (أبا عقيل) رُمي بسهم فوقعَ في صدره، قريباً من القلب، دون مقتل، فأُخرِجَ منه السهمُ، ولكنه وَهَنَ له شِقُّه الأيسر، فحُمِل إلى مكان الجرحى من المسلمين. وسمعَ (أبو عقيل) استغاثةَ بعض المسلمين، وهو يصيح: يا للأنصار، الكرَّة على أعدائكم، أَخْلِصونا، أَخْلصونا ـ أي خلّصونا من أعدائنا فقد أكثروا فينا الجراح ـ فنهض (أبو عقيل) يريد نجدتهم، فقال له (عبد اللَّه بنُ عمر) ما تريد يا أبا عقيل؟ ليس بك مقدرةٌ على قتال؟

فقال له أبو عقيل: لقد صرخوا باسمي، واستنجدوا بي!!

فقال له ابن عمر: إنما نادَوْا يا لَلأنصار لا يَعْنون الجرحى!

فقال: أنا رجل من الأنصار، وأنا أجيبهم ولو حَبْواً ـ أي زحفاً ـ!

قال ابن عمر: فتحزَّم (أبو عقيل) وأخذ السيف بيده اليمنى، ثم جعل ينادي: يا لَلأنصار، كرَّةً على الأعداء كيوم حنين، فاجتمعوا جميعاً وأخذوا يقاتلون بشجاعة وبسالة، حتى أقحموا أعداءهم مكاناً يسمى (حديقة الموت).

قال ابن عمر: فنظرتُ إلى (أبي عقيل) وقد قُطِعتْ يدُه المجروحةُ، حتى وقعت على الأرض، وبه من الجراح أربعةَ عشر جرحاً، كلها قد انتهت إلى مَقْتل، وقُتل عدوُّ اللَّه (مسيلمةُ الكذاب).

ورأيت (أبا عقيل) صريعاً بآخر رَمَق.

فقلت: أبا عقيل! فقال: لبَّيك بلسانٍ متلعثم: لمن العاقبة؟

قلت: أبشرْ قد قُتل عدوُّ اللَّه (مسيلمة) فرفع أصبعه إلى السماء يحمد اللَّه، ومات رحمه اللَّه.

فلمَّا رجعتُ أخبرتُ عمرَ بأمره، فقال: رحِمهُ اللَّهُ! ما زالَ يسأل الشهادةَ في سبيل اللَّه، حتى أعطاه اللَّه إياها[1].

من قَتَلَ مسيلمةَ الكذاب؟

من العجيب أن الذي أخرسَ صوتَ الباطل، وقتَلَ (مُسَيْلمة الكذَّاب) هو نفسُه الذي قَتَل أسدَ اللَّه (حَمْزَةَ) رضي اللَّه عنه، عمَّ الرسولِ ﷺ.

(هل تدرون من هو القاتل)؟ إنه (وحشي) رضي اللَّه عنه.!

ولقصة قتله لمسيلمة نبأٌ غريب وعجيب، فقد كان (وحشي) بعد أن أسلَمَ يقول: لقد قتلتُ بِحَرْبتي خيرَ الناس (حمزةَ بنَ عبد المطلب) وأنا اليوم أريد أن أكفِّر عن ذنبي العظيم، فأقتلَ بحربتي شرَّ الناس، عدوَّ اللَّه (مسيلمة الكذاب)!!

يحكي لنا وحشيٌّ هذه القصة، في يوم قتله لحمزة، ويوم قتله لمسيلمة

فيقول: (كنتُ غلاماً لِجُبَيْر بن مُطْعِم، وكان عمُّه «طُعَيْمَةُ بنُ عَدي» قد قُتل يوم بدر، فلمَّا كانت (غزوة أُحُد) قال لي سيدي (جُبَيْر) إن قتلتَ (حمزةَ) عمَّ محمد بعمِّي (طُعَيْمةَ) فأنت حرٌّ طليقٌ، لا أريد منك شيئاً!؟

قال: فخرجتُ مع الناس، وكنت رجلاً حبشيًا، قلَّما أخطئُ الرميَ، وبينما كنتُ أنظر إلى المعركة، وإلى المقاتلين، وأرى القومَ، أبصرتُ (حمزةَ) كأنه الأسد الهصور،

(١) أخرجه ابن سعد ٣/ ٤٧٤ وانظر حياة الصحابة ١/ ٤٣٠.

ما يقف في وجهه أحدٌ من الناس، يهدُّ الناس بسيفه هدًّا، ما يقوم له شيءٌ!.

قال: فأخذت حَرْبتي فهززتها، ثم دفعتها نحوه، فوقعتْ في بطنه، ثم خرجتْ من بين رجليه ـ أي ضَرَبه في مقتل ـ فذهب ليقوم فلم يستطع، وتركتُه والحربةَ حتى مات، ثم أتيتُه فأخذتُ حربتي، ثم رجعتُ إلى العسكر، وقعدتُ فيه، ولم يكن لي بقتل غيره من حاجة، إنما قتلتُه لأُعْتَقَ!!.

قال: فلمَّا قدمتُ مكة أعتقني سيّدي، ولمَّا فتح رسولُ اللَّه مكة، ضاقت عليَّ الدنيا بما رَحُبت، وعرفتُ أن رسول اللَّه ﷺ سيقتلني، فهربتُ إلى الطائف.

ولمَّا خرج أهلُ الطائف إلى الرسول ﷺ ليعلنوا إسلامهم، أظلمتْ في وجهي المذاهب، فلم أعرف أين أذهب؟ ـ أي أصبحت الحياة مظلمةً في وجهي!!.

فقلت: ألحقُ بالشام، أو باليمن، أو ببعض البلاد!.

فواللَّهِ إني لفي حيرةٍ من أمري، وقَلَقٍ من همِّي، إذ جاءني رجلٌ فقال لي: ويحك يا وحشيُّ، إن محمداً لا يقتلُ أحداً من النَّاسِ دخل في دينه، وشهد شهادةَ الحقّ، فأعلنَ إسلامَه، مهما كان جرمُه عظيماً!

فالْحَقْ بقومك فأسلمْ، قبلَ أن يفوت الأوانُ!

فلما قال لي ذلك، خرجتُ حتى قدمتُ على رسول اللَّه ﷺ، وهو بالمدينة المنوَّرة، فلم يَرُعْهُ ـ أي لم يفزعه ﷺ ـ إلَّا بي قائماً عند رأسه، أشهدُ شهادة الحقِّ وأقول: (أشهد أن لا إلٰه إلا اللَّه، وأشهد أن محمداً رسولُ اللَّه) فرفع رأسَه، وقال: أنتَ وحشيٌّ؟ قلت: نعم يا رسول اللَّه!.

الرسول يطلب من وحشي كيفية قتله لحمزة

فقال لي: اقعدْ فحدثني كيف قتلتَ حمزةَ؟

قال: فحدَّثتُه بالأمرِ كما جرى!

فقال لي: ويحكَ غيِّبْ عنِّي وجهك، فإني لا أريد أن أرى قاتل عمِّي! ـ أي لئلا يتذكر رسول اللَّه عمَّه حمزة، كلَّما رأى وجه (وحشي) ويستعيد ذكر ألم قتلِ حمزة ـ وقَبِلَ إسلامي، فلم يعاقبني[1]!.

وفي رواية البخاري: أنَّ (عُبَيْد اللَّهِ بنَ عديٍّ) قال لوحشي وهو بمدينة حمص: ألَا تخبرنا بقتل حمزة؟ قال: نعم، إن (حمزةَ) قَتَل (طُعيمةَ بنَ عديّ) **فقال**

(١) أخرجه الحاكم وابن إسحاق كما في البداية ٤/١٨.

لي مولاي (جُبَيرُ بنُ مُطْعِم): إن قتلتَ حمزة بعمّي، فأنت حرٌّ!!

فلمَّا خرج الناس في غزوة أُحُد، خرجتُ مع الناس إلى القتال، فلمَّا اصطفُّوا للقتال، خرج من المشركين رجل يقال له: (سِبَاعٌ) فقال: هل من مبارز؟ فخرج إليه (حمزةُ بنُ عبد المطلب) فقال له: يا سِبَاعُ، يا ابنَ أمِّ أنمار، مقطّعة البِظُورِ ـ يعني خاتنة النساء ـ أَتُحَادُّ اللَّهَ ورسولَه؟

ثم شَدَّ عليه فجعله كأمسِ الذَّاهب ـ أي قطع رأسه بسيفه البتّار فلم يترك له وجوداً ولا أثراً ـ!!

يقول وحشي: فكمنتُ ـ أي اختبأتُ ـ لحمزة تحت صخرة، فلمَّا دنا منّي رميتُه بحربتي، فوضعتُها في ثُنَّته ـ أي عانته تحت السُرَّة ـ حتى خرجتْ من بين وركيه، فكان ذلك عهدي به ـ أي أنه سقط ومات ـ **قال:** فلمَّا رجع الناسُ من أُحُد رجعتُ معهم ـ وأعتقني سيدي ـ فأقمتُ بمكة حتى فشا فيها الإسلامُ، ثم خرجتُ إلى الطائف، فأرسلوا إلى رسول اللَّه ﷺ رسولاً ـ أي ليأخذ لهم الأمانَ ـ فقيل لي: إنَّ محمداً لا يَهيجُ الرُّسلَ ـ أي لا يفعل مكروهاً معهم ـ قال: فخرجت معهم حتى قدمتُ على رسول اللَّه ﷺ، فلمَّا رآني قال: آنتَ وحشيٌّ؟ ـ أي هل أنت وحشي؟ ـ قلت: نعم؟

قال: أنتَ قتلتَ حمزةَ؟ قلتُ: قد كان من الأمر ما بَلَغك؟

قال: فهل تستطيع أن تغيِّب وجهك عني؟

قال: فخرجتُ فلمَّا قُبض رسولُ اللَّه ﷺ، وخرج (مسيلمةُ الكذاب).

قلت: لأخرجنَّ إلى (مُسَيلمة) لعلّي أقتلُه، فأكافئ به حمزة ـ أي أكفِّر عن ذنبي، بقتل عدوِّ اللَّه مسيلمة الذي زعم النبوَّة ـ فخرجت مع الناس، فكان من أمره ما كان.! يعني أنه قتل ذلك الشقي مسيلمة.

يقول وحشي: فإذا رجلٌ واقف في ثَلْمةِ جدار ـ أي فَتْحة جدار ـ كأنه جَمَل أورقٌ ـ أي أحمر ـ ثائر الرأس!

قال: فرميتُه بحربتي ـ التي رميت بها حمزة ـ فأضعها بين ثَدْيَيْه، حتى خرجتْ من بين كتفيه، وسقط على الأرض.!

قال: ووثَبَ إليه رجلٌ من الأنصار فضربه بالسيف على هامته ـ أي رأسه ـ وهو صريع، فقالت جاريةٌ وهي واقفة على ظهر بيت: (أَلَا إن أميرَ المؤمنين ـ تعني الشقيَّ الفاجر مسيلمة ـ قَتَله العبدُ الأسود)[1].

هكذا جَمَع (وحشي) بين قَتْل عدوِّ اللَّه (مسيلمة الكذاب) بعد أن كان قد

(١) رواه البخاري ٣/ ٢٤ باب قتل حمزة.

حصل منه جريمة شنيعة بقتل أسدِ اللَّه وأسدِ رسوله (حمزةَ بنِ عبد المطلب) عمّ رسولِ اللَّهِ ﷺ، فجعلَ ذلك كفارةً لما جنتْهُ يداه، ولكنَّ الرسول الكريم، عليه أفضلُ الصلاة والتسليم، لم ينتقم منه بعقوبةٍ أو إهدارِ دم، وإنما اكتفى بقوله: (هل تستطيعُ أن تغيِّب عني وجْهَك!) لئلا يتذكَّر عمَّه برؤية القَاتل له فيحزن ويتألم.!

والإسلامُ يهدم ما قبله، فلقد تاب اللَّهُ على كثيرٍ من الصحابة، بعد أن عاشوا في كهف الشرك والضلالة سنين عديدة!.

عفا اللَّهُ عن (وحشي) خطيئتَه الجسيمة، وأسكنه جناتِ الفردوس، بقتله لمسيلمة الكذَّاب، رأسِ الكفر والطغيان في اليمامة، مسقط رأس مسيلمةَ الكذاب لعنه اللَّه تعالى، ولقد كان (وحشي) من الأشقياء الفجار، فأصبح بعد إسلامه من الصحابة الأبرار، واللَّه يهدي من يشاء إلى صراطه المستقيم.

* * *

obeikandl.com

رأسُ النفاقِ ابنُ سلول
قصةُ المنافقِ عبدِ الله بنِ أُبَيّ بنِ سَلُول

٦٤

(عبدُ اللَّهِ بنُ أُبيِّ بنِ سَلول) اسمٌ لشقيٍّ من كبار الأشقياء، اشتهر بالنفاق حتى أصبح رمزَ الخيانة لدين اللَّه، ورئيسَ النفاق والمنافقين في المدينة المنوَّرة، وفيه وفي أشباهه، نزلت سورةٌ خاصة، تسمى (سورةَ المنافقين).

كما افتضح أمرهم في سورة من طوال سور القرآن (سورة براءة).

وقد استغرق الحديث عن المنافقين معظم السورة، ولهذا سمَّاها بعضُ الصحابة (سورة الفاضحة) لأنها فضحت المنافقين، وكشفت عن أسرارهم.

قال سعيد بن جُبير: سألتُ ابنَ عباس رضي اللَّه عنهما عن سورة براءة، فقال: تلك الفاضحةُ، ما زالت تنزلُ الآيات ﴿وَمِنْهُمْ﴾ ﴿وَمِنْهُـم﴾ ﴿وَمِنْهُمْ﴾ حتى خِفْنا أن لا تَدَع أحداً منهم!

يشيرُ ابنِ عباس إلى قول اللَّه تعالى عن المنافقين: ﴿وَمِنْهُمُ ٱلَّذِينَ يُؤْذُونَ ٱلنَّبِيَّ وَيَقُولُونَ هُوَ أُذُنٌ ...﴾ [التوبة: ٦١] أي يسمعُ كلَّ قولٍ ويصدِّقه وهو طعن في الرسول ﷺ، **وكذلك يشير إلى قوله تعالى:** ﴿۞ وَمِنْهُم مَّنْ عَٰهَدَ ٱللَّهَ لَئِنْ ءَاتَىٰنَا مِن فَضْلِهِۦ لَنَصَّدَّقَنَّ وَلَنَكُونَنَّ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ﴾ [التوبة: ٧٥].

وإلى قوله سبحانه: ﴿وَمِنْهُم مَّن يَقُولُ ٱئْذَن لِّي وَلَا تَفْتِنِّيٓ أَلَا فِي ٱلْفِتْنَةِ سَقَطُوا۟ وَإِنَّ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌۢ بِٱلْكَٰفِرِينَ﴾ [التوبة: ٤٩] رُوي عن حذيفةَ بن اليمان أنه قال: (إنكم تسمونها «سورة التوبة» وإنما هي سورة العذاب، واللَّهِ ما تركت أحداً من المنافقين، إلّا نالت منه)، وهذا هو السرُّ في عدم وجود البسملة فيها.

متى ظهر النفاق؟ وكيف نَجم قرْنُه؟

لم يكن بمكةَ نفاقٌ، ولم يظهر أحدٌ من المنافقين فيها، لأن قوة الكفر بمكة كانت مستعلية، وصناديدُ الشرك هي الحاكمة، فلم يكن هناك حاجة إلى أن يُظهر الإنسانُ المودَّة للمسلمين، فَيُظهرَ الإيمانَ أمامهم ويُبطن الكفر. !

ولمَّا هاجر المسلمون إلى المدينة المنورة، وكثر أتباعُ الإسلام وأنصارُه، وصار للمسلمين دولةٌ وقوةٌ وكيان، ظهر النفاقُ، ونَجَمَ قرنُه، فأظهر بعضُهم الإيمانَ، وأعلنَ الشهادةَ بلسانه دون قلبه، وأبطن الكفر، وفيهم يقول ربُّ العزَّةِ والجلال ﴿ إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُوا۟ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ﴾ [المنافقون: ٢].

أمَّا رئيسُ المنافقين، وحاملُ لواء النفاق في عصر النبوة فهو (عبدُ اللَّه بنُ أُبيّ بنِ سَلُول) دخل في الإسلام، عن غير قناعة ولا يقين، وهو من قبيلة (الخزرج) وكان قومُه يريدون أن يتوّجوه مَلِكاً عليهم، فلمَّا هاجر الرسولُ ﷺ إلى المدينة المنورة، وآمنَ به (الأوسُ) و(الخزرجُ) وأعرضوا عن (ابن سلول) حَسَدَ النبيَّ ﷺ لأنه ـ في زعمه ـ سَلَبه مُلْكَهُ، وأضمر في قلبه العداوة له والبغضاء.

دخل في الإسلام خشية القتل، ولكنه كان يُخْفي في نفسه العداوة والبغض الشديدَ للإسلام والرسول، ويكيد للمسلمين بشتَّى ضروب الكيد والخبث، ووصل به الخُبث والكفر، أن يصف الرسول ﷺ بكلمات كفريَّةٍ فاجرة، تدلُّ على مبلغ ما انطوى عليه قلبُه من الحقد الدفين، لمن بعثه اللَّهُ رحمةً للعالمين، فيزعم أنَّ محمداً وأصحابه، ينبغي أن يُطردوا من المدينة، وأنه سَيُخْرِج منها الرسولَ ﷺ، ذليلاً مهيناً، ويبقى هو وأصحابه فيها أعزَّةً كراماً ﴿ يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ ...﴾ [المنافقون: ٧] يقصد عدوُّ اللَّهِ بالأعزِّ نفسَه، وبالأذلِّ محمداً وصحبه.

وبعد نزول السورة الكريمة (سورة المنافقين) افتضح أمره، وبوجه خاص حين رجع في الطريق من (غزوة أُحد) عرف المسلمين جميعاً أمر نفاقه، ولم يعد يخفى على الناس حالُه، وأصبح عَلَماً بارزاً في النفاق، وإليكم بعض المخازي التي صدرت منه، حتى أهلكه اللَّه تعالى.

قصة ابن سلول كما رواها الإمام البخاري

ولْنفسحِ المجالَ لإمام المحدثين (البخاري) رحمه اللَّه، ليحدثنا عن قصة هذا الشقي الفاجر، فقد روى البخاري في صحيحه عن (زيد بن أرقم) رضي اللَّه عنه أنه قال: (كنتُ في غزوة مع عمِّي، فسمعتُ (عبد اللَّه بن أُبيّ بن سلول) يقول: ﴿لَا تُنفِقُوا عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا﴾ [المنافقون: ٧] ويقول أيضاً: ﴿لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ﴾ [المنافقون: ٨] يقصد عدوُّ اللَّه بالأعزِّ نفسه، وبالأذلِّ رسولَ اللَّهِ وأصحابَه ـ فذكرتُ ذلك لعمِّي، فذكره للنبيِّ ﷺ، فدعاني صلواتُ اللَّه عليه فحدَّثتُه بما سمعتُ!

فأرسل رسولُ اللَّه ﷺ إلى (عبد اللَّهِ بن سلول) وأصحابه، فحلفوا ما قالوا. فصدَّقهم رسولُ اللَّه ﷺ وكذَّبني، فأصابني هَمٌّ لم يُصبني مثلُه قطُّ، فجلستُ في البيت!!

فقال لي عمِّي: ما أردتَ إلَّا أن كذَّبك رسولُ اللَّه ﷺ ومقَتَك ـ أي ما أردتَ إلَّا أن يُبغضَكَ الرسولُ بسبب هذه القصة، ويَرْميكَ بالكذب ـ.

فأنزل اللَّه عزَّ جلَّ هذه السورة: ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُوا نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ﴾ إلى قوله عزَّ وجلَّ: ﴿هُمُ ٱلَّذِينَ يَقُولُونَ لَا تُنفِقُوا عَلَىٰ مَنْ عِندَ رَسُولِ ٱللَّهِ حَتَّىٰ يَنفَضُّوا وَلِلَّهِ خَزَآئِنُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَفْقَهُونَ * يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ وَلِلَّهِ ٱلْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِۦ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ﴾ [المنافقون: ١ ـ ٨] فبعث إليَّ النبيُّ ﷺ فقرأ الآيات عليَّ، ثم قال لي: إن اللَّهَ صَدَّقك يا زيدُ، وكذَّبهم.!

ولمَّا نزلت الآياتُ في حقِّ ابن سلول، قال عمر: يا رسولَ اللَّهِ، دَعْني أضربْ عُنُقَ هذا المنافق!!

فقال له النبيُّ ﷺ: (دَعْهُ يا عمرُ، لا يتحدَّثُ الناسُ أن محمداً يقتلُ أصحابه)[1].

---

(١) رواه البخاري ٣/ ٢٠٢ في كتاب التفسير.

موقف إيماني لولد ابن سلول

٦٥

من المواقف الإيمانية البطولية، ما رواه لنا أهلُ السِّيرِ، أن (ابن سلول) لمَّا قال ما قال في حقِّ الرسول وأصحابه، جاء أحد أبنائه إلى رسول اللَّه ﷺ واسمه (عبد اللَّه) وكان هذا الشاب مؤمناً صادق الإيمان، فقال: يا رسولَ اللَّه، بَلَغني أنك تريدُ قتلَ أبي، فيما قاله عنك!! مُرني فأنا أحمل لك رأسه، وأنا أقتله بنفسي..!

فواللَّهِ لقد عَلِمَت الخزرجُ، بأنها لا يوجد فيها رجلٌ، أَبَرَّ بوالده منِّي، وإني أخشى أن تأمرَ غيري فيقتلَهُ، فلا تطاوعُني نفسي أن أرى قاتل أبي يمشي على وجه الأرض، فأقتلَ مسلماً بكافر، فأدخل النَّار بقتله!

فقال له ﷺ: بل نترفَّقُ به، ونحسنُ صحبتَه ما دام فينا!

فانصرفَ ابنُه المؤمنُ، من عند الرسول ﷺ ووقف لأبيه عند بعض أبواب المدينة المنوَّرة، وهو راجعٌ من سفره، فلما وصل أبوه استلَّ سيفه، وقال له: وراءكَ، واللَّهِ لا تدخلُ المدينةَ، حتى تشهد أنك أنت المهينُ الذليلُ، وأن محمداً هو العزيزُ الكريم، وحتى يأذن لك رسولُ اللَّه ﷺ بدخولها!.

فشهد على نفسه أمام الناس أنه هو الذليلُ المهينُ، وأن محمداً ﷺ هو (الأعزُّ الأكرم) وبقي محبوساً حتى وصل الخبرُ إلى رسول اللَّه ﷺ، فأذنَ له ﷺ في دخول المدينة، وردَّ اللَّه كيد (ابنِ سلول) في نَحْره، وانفضح أمره بين الناس[1].

وحقاً إنه لموقفٌ عظيمٌ من مواقف الإيمان، وصورةٌ رائعةٌ مشرقة، من المحبة الصادقة لرسول اللَّه ﷺ، تتجلَّى في قصة هذا الشاب المؤمن التقي، مع أبيه المنافق الشقيِّ، وفيها التصديقُ لحقيقة صورة الإيمان في قول اللَّه عزَّ وجلَّ: ﴿لَّا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْآخِرِ يُوَآدُّونَ مَنْ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوْ كَانُوٓا۟ ءَابَآءَهُمْ أَوْ أَبْنَآءَهُمْ أَوْ إِخْوَٰنَهُمْ

(١) انظر سيرة ابن إسحاق والسيرة الحلبية.

أَوْ عَشِيرَتَهُمْ أُوْلَٰئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ الْإِيمَانَ وَأَيَّدَهُم بِرُوحٍ مِّنْهُ﴾ [المجادلة: ٢٢].

خبثُ ابن سلول وسخريتُه واستهزاؤه

ومن مظاهر خبثه وكيده، أن (ابنَ سلول) لمَّا قال في حقِّ الرسول ﷺ ما قال، ونزل القرآن يفضحه ويفضح أصحابَه، جاء إليه بعضُ الخزرج، من أهل الإيمان والصِّدق، وقالوا له: ويحكَ، لقد افتضحتَ وانكشف أمرك، فامضِ إلى رسول اللَّه ﷺ، واطلبْ منه العفوَ والمسامحة، واعترفْ بذنبك حتى يستغفر لك اللَّهَ!.

فلوَى رأسَه وفَتَله استهزاءً واستكباراً، وقال لهم: لقد أشرتم عليَّ بالإيمانِ فآمنتُ، وأمرتموني بالصيام فصمتُ، ودعوتموني إلى الزكاة فزكَّيْتُ، ولم يبق لكم إلَّا أن تأمروني بالسجود لمحمد!؟

ولوَّى رأسه كالمستهزئ، وفيه نزل قول اللَّه عزَّ وجلَّ: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا يَسْتَغْفِرْ لَكُمْ رَسُولُ اللَّهِ لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ وَرَأَيْتَهُمْ يَصُدُّونَ وَهُم مُّسْتَكْبِرُونَ ۝ سَوَاءٌ عَلَيْهِمْ أَسْتَغْفَرْتَ لَهُمْ أَمْ لَمْ تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ لَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الْفَاسِقِينَ﴾ [المنافقون: ٥، ٦].

ومعنى قوله تعالى: ﴿لَوَّوْا رُءُوسَهُمْ﴾ أي حرَّكوا رؤوسهم وهزُّوها، استكباراً واستهزاءً، كأنهم يقولون: من هو رسول اللَّه؟ وما هو قيمةُ استغفاره؟ وهذا من فرط كفرهم، واستهزائهم برسول اللَّه ودينه، ولهذا جاء الحكم الإلٰهي القاطع ﴿لَن يَغْفِرَ اللَّهُ لَهُمْ﴾، بعدم مغفرة ذنوبهم، حتى ولو استغفر لهم رسول اللَّه ﷺ، لأنهم لا يقيمون قدراً لرسول اللَّه ﷺ، فلا يستحقُّون المغفرةَ والرحمة!!

سفاهة عبد اللَّه بن سلول

وفي عهد النبي ﷺ، حدثت خصومةٌ بين بعض الأنصار، فذهب رسولُ اللَّه ﷺ، ومعه بعض أصحابه، ليصلح بينهم، ومرَّ في طريقه على (عبد اللَّه بن سلول) المنافق، وهو جالسٌ مع شُلَّة من المنافقين، فلما اقترب منه النبيُّ ﷺ، وهو يركب على حمار، امتعضَ عدوُّ اللَّهِ، وقال لبعضِ أصحابِ الرسول: لقد أثارَ علينا الحمارُ الغُبار، فأبعدوه عنا ـ يريد النيل من رسول اللَّه ﷺ بحجة إثارة الحمار للغبار ـ وغضب لهذا الكلام بعضُ الصحابة، وكادت تحدث فتنة عظيمة، بين أتباع ابن سلول، وأنصار الرسول ﷺ، وهذه القصة تدلُّ على مبلغ ما وصل إليه (عبد اللَّه بن سلول) من حقدٍ وضغينة للإسلام ورسوله، حيث بلغت به السفاهة والوقاحة، أن يقول للرسول: لقد آذانا نتنُ حمارك، ولنستمعْ إلى القصة كما رواها لنا الإمام البخاري في صحيحه.

قصّته كما في صحيح البخاري

عن أنسٍ رضي اللَّه عنه أنه قال: قيل للرسول ﷺ: (لو أتيتَ عبد اللَّه بنَ أبيٍّ - يعني رئيس المنافقين للإصلاح بين الأوس والخزرج - فانطلق إليه النبيّ ﷺ، وركب حماراً وانطلق المسلمون يمشون معه، وهي أرضٌ سَبْخة - أي فيها ملوحة وطين - فلمَّا أتاه النبي ﷺ قال عدوُّ اللَّهِ: إليك عنِّي - أي ابتعدْ عني - فواللَّهِ لقد آذاني نتْنُ حمارك - أي رائحته الكريهة - فقال رجل من الأنصار: واللَّهِ لحمارُ رسولِ اللَّه أطيبُ ريحاً منك!!

فغضب لعبد اللَّه بن سلول رجلٌ من قومه فشتمَه - أي سبَّ الأنصاري - فغضبَ لكل واحد منهما أصحابه، فكان بينهم ضربٌ بالجريد والأيدي والنعال - أي قتال حتى تضاربوا بأغصان النخيل وبالأيدي والأحذية.

يقول أنس رضي اللَّه عنه: فبَلَغَنَا أنَّ هذه الآية الكريمة: ﴿وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُواْ﴾ الآية [الحجرات: ٩] نزلت في أمر الصلح[1].

يريد في الحادثة التي وقعت بين الأوس والخزرج، وخرج الرسول ﷺ للإصلاح بينهم!!

سبب خروج النبي ﷺ للصلح

يروي لنا الإمام البخاري سببَ خروج النبيّ ﷺ للصلح، فيقول رضي اللَّه عنه: (بابُ ما جاءَ في الإصلاح بين الناس) حدثني أبو حازم عن (سهل بن سعد) رضي اللَّه عنه أن أُناساً من بني (عَمْرِو بنِ عوفٍ) كان بينهمْ شيء من الخصومة، فخرج إليهم النبيُّ ﷺ في أُناسٍ من أصحابه، يُصلح بينهم، فحضرت الصلاةُ ولم يأتِ النبيُّ ﷺ، فجاء بلالٌ فأذَّن بالصلاة، ولم يحضر النبيُّ ﷺ، فجاءَ بلالٌ إلى (أبي بكر) فقال له: إنَّ النبيَّ ﷺ حُبس، وقد حضرت الصلاةُ، فهل لك أن تَؤُمَّ النَّاسَ؟

فقال له أبو بكر: نعم إن شئتَ!!

---

(١) الحديث رواه البخاري في كتاب الصلح ٢/ ١١١ وأخرجه أحمد في المسند.

obeikandl.com

فأقام الصلاةَ فتقدَّم (أبو بكر) ثم جاءَ النبيُّ ﷺ يمشي في الصفوفِ، حتى قامَ في الصفِّ الأول، فأخذَ الناسُ بالتصفيح ـ يعني التصفيق ـ حتى أكثروا!.

وكان أبو بكر لا يلتفت في الصلاة، فالتفتَ فإذا هو بالنبي ﷺ وراءَه، فأشار النبيُّ ﷺ إليه بيده، يأمره أن يصلِّي كما هو، فرفع أبو بكر يده، فحمد اللَّه ثم رجع القهقرى وراءه، حتى دخل في الصفِّ!

وتقدَّم النبيُّ ﷺ فصلَّى بالناس، فلمَّا فرغ، أقبَلَ ﷺ على الناس فقال: يا أيها الناسُ ما لكم إذا نَابَكم شيء في الصلاة، أخذتم بالتصفيح؟ إنما التصفيحُ ـ أي التصفيقُ ـ للنساء، من نَابَه شيء في صلاته فلْيقلْ: (سبحان اللَّه)!

يا أبا بكر: ما منعكَ إذ أشرتُ إليك أن تصلِّي بالناس؟ فقال: ما كان ينبغي لابن أبي قُحافة أن يصلِّي بين يدي النبي ﷺ!)[1].

وفاة المنافق عبد اللَّه بن أُبَيّ بن سلول

مع كل الأذى الذي نال الرسولَ ﷺ وأصحابَه، من هذا المنافق (ابن سلول) فقد صلَّى رسولُ اللَّه عليه لمَّا ماتَ (صلاةَ الجنازة)، تطييباً لخاطر ابنه، المؤمن التقيِّ الصالح، الذي استأذن رسول اللَّه ﷺ أن يأتي له برأس أبيه فنهاه.!

فلمَّا طلب من الرسول الكريم أن يعطيه ثوبه، ليكفِّن به أباه، وأن يُصَلِّي عليه ـ وكان من خُلُق الرسول ﷺ، أن لا يردَّ أحداً طلب منه شيئاً ـ استجاب ﷺ له فأعطاه ثوبه، وصلَّى عليه، وإذا بالقرآن يتنزَّل بهذه الآيات البينات: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ﴾ [التوبة: ٨٤] أي لا تشهد جنازته حين يُدفن.

كان عمر رضي اللَّه عنه هو المعترض على الصلاة على ذلك المنافق (ابن سلول) ونزل القرآن الكريم مؤيداً له وموافقاً ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا . . .﴾.

لقد كان عليه الصلاة والسلام يصلِّي على كل مسلم إذا مات، ويَدَعُ أمرَه إلى اللَّه، حتى نزل القرآن ينهاه عن كل من عُرف نفاقُه، وانكشف أمره، ردعاً للمنافقين.

ما نزل من القرآن في حقِّ المنافقين

روى البخاري في صحيحه عن عمر بن الخطاب رضي اللَّه عنه أنه قال:

(لمَّا مات (عبدُ اللَّه بنُ أُبيِّ بن سلولَ) جاء (ابنُه عبدُ اللَّهِ) إلى رسول اللَّه ﷺ يطلب منه قميصَه، ليكفِّن به أباه، فأعطاه قميصَه ـ أي ثوبَه ـ ثم قام يصلِّي

(١) الحديث أخرجه البخاري في كتاب الصلح ٢/ ١١١.

عليه، فأخذ عمر بثوبه، فقال: يا رسولَ اللَّه، أتصلِّي عليه وهو منافق؟ وقد نهاك اللَّهُ أن تستغفر للمنافقين!!

فقال رسولُ اللَّه ﷺ: أخِّر عني يا عمرُ، فلمَّا أكثرتُ عليه، قال لي: إني خُيِّرتُ ـ أي بين الاستغفار وعدم الاستغفار ـ بقوله تعالى: ﴿ٱسْتَغْفِرْ لَهُمْ أَوْ لَا تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ إِن تَسْتَغْفِرْ لَهُمْ سَبْعِينَ مَرَّةً فَلَن يَغْفِرَ ٱللَّهُ لَهُمْ﴾ [التوبة: ٨٠] ولو أني أعلم أني لو زدتُ على السبعين يُغفر له، لزدتُ عليها ـ وهذا من شفقته ورحمته ﷺ بالمنافقين مع شدة ضررهم وأذاهم ـ.

قال عمر: فصلَّى عليه رسولُ اللَّه ﷺ ثم انصرفَ، فلم يمكث إلَّا يسيراً أي زمناً قليلاً ـ حتى نزلت الآيتانِ من سورة التوبة: ﴿وَلَا تُصَلِّ عَلَىٰٓ أَحَدٍ مِّنْهُم مَّاتَ أَبَدًا وَلَا تَقُمْ عَلَىٰ قَبْرِهِۦٓ ۖ إِنَّهُمْ كَفَرُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَمَاتُوا۟ وَهُمْ فَٰسِقُونَ﴾ [التوبة: ٨٤] ونزلت: ﴿سَيَحْلِفُونَ بِٱللَّهِ لَكُمْ إِذَا ٱنقَلَبْتُمْ إِلَيْهِمْ لِتُعْرِضُوا۟ عَنْهُمْ ۖ فَأَعْرِضُوا۟ عَنْهُمْ ۖ إِنَّهُمْ رِجْسٌ وَمَأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ﴾ [التوبة: ٩٥].

وفي رواية أخرى في البخاري: (لمَّا ماتَ عبدُ اللَّهِ بنُ أُبيٍّ بن سلول، دُعي له رسولُ اللَّه ﷺ ليصلِّي عليه، فلما قام رسولُ اللَّه ليُصَلِّي عليه، وَثَبْتُ إليه، فقلت: يا رسول اللَّه، أتصلِّي عليه، وقد قال يوم كَذَا: كَذَا وكَذَا؟ أعدِّد عليه جرائمه!!

فتبسَّم رسول اللَّه ﷺ وقال لي: إني خُيِّرتُ فاخترتُ، لو أعلم أني لو زدتُ على السبعين يُغفر له، لزدت عليها، قال عمر: فعجبتُ من جُرْأتي على رسول اللَّه ﷺ[1].

عمر رضي اللَّه عنه صحابيٌّ مُلْهَمٌ

رضي اللَّه عن عمر، فلقد كان مُلْهَماً، جعل اللَّهُ الحقَّ على لسانه وقلبه، وقد نزل القرآن موافقاً له في عدة مناسبات، وعدة مواقف، وقد قال ﷺ فيه: (قد كان في الأمم قبلكم محدَّثون ـ أي ملهمون ينطقون بالحقِّ ـ فإن يكن في أمتي منهم أحد، فإنَّ عمرَ بنَ الخطاب منهم)[2].

وروى البخاري ومسلم عن عمرَ رضي اللَّه عنه أنه قال:

(وافقتُ ربي في ثلاث: في مقام إبراهيم، وفي الحِجاب، وفي أسارى بدر)[3] أمَّا موافقة القرآن له في ﴿مَقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ﴾ فإنه قال للنبي ﷺ، وهم عند

(١) الحديث أخرجه البخاري ٣/ ١٣٧ في تفسير سورة براءة.
(٢) رواه مسلم في صحيحه.
(٣) أخرجه البخاري ومسلم.

الكعبة: يا رسولَ اللَّهِ، لو اتَّخذنا من مقام إبراهيم مصلًّى؟ فنزلت: ﴿وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾ [البقرة: ١٢٥].

وفي الحجاب: فإنه قال لرسول اللَّه ﷺ: إن نساءَك يراهنَّ البَرُّ والفاجرُ، فلو أمرتَ نساءَك بالحجاب، فنزل قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَٰعًا فَسْـَٔلُوهُنَّ مِن وَرَآءِ حِجَابٍ﴾ [الأحزاب: ٥٣].

وفي أسارى بدر: فإنه أشار على النبي ﷺ بقتلهم، وأشار عليه (أبو بكر) بأخذ الفداء منهم، وإطلاق سراحهم، فأخذ النبيُّ ﷺ برأي (أبي بكر) رحمة بهم، فنزل القرآن موافقاً لرأي عمر، لقطع دابر المشركين، حتى لا يطمعوا في حرب المسلمين مرة أخرى، وينسبوا المسلمين إلى الضعف!! وفي ذلك نزلت هذه الآيـــة: ﴿مَا كَانَ لِنَبِىٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسْرَىٰ حَتَّىٰ يُثْخِنَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنْيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلْـَٔاخِرَةَ ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [الأنفال: ٦٧].

وتوضيحُ الآية الكريمة: أنه لا ينبغي لأحد من الأنبياء، أن يأخذ من الأسرى الفداء، إلا من بعد أن يُكثر فيهم القتلَ والجراح، لكسر شوكة المشركين، تريدون يا معشر المؤمنين بأخذ الفداء حُطام الدنيا، واللَّه يريد إعزاز الإسلام وقتل أعدائه؟! ﴿وَٱللَّهُ عَزِيزٌ﴾ أي غالبٌ لا يُغلب ﴿حَكِيمٌ﴾ في تشريعه وجميع أموره.

رواية أخرى في الصحيح حول ابن سلول

يروي الإمام البخاري روايةً أخرى حول المنافق (عبد اللَّه بن أبي بن سلول) فيقول بسنده (عن أسامةَ بنِ زيد أن رسول اللَّه ﷺ ركب على حمار، وأردَفَ خلفه (أُسامةَ بنَ زيد) يعود (سَعْد بنَ عُبادة) في بني الخزرج، قبل وقعة بدر - يعني الغزوة الأولى التي غزاها رسول اللَّه ﷺ -.

مرَّ ﷺ بمجلسٍ فيه (عبدُ اللَّهِ بنُ أبيٍّ بن سلول) وذلك قبل أن يُسلم (ابنُ سلول) فإذا بالمجلس أخلاطٌ من المسلمين، والمشركين عَبَدةِ الأوثان، واليهود، وفي المجلس (عبدُ اللَّهِ بنُ رواحة) فلمَّا غشيت المجلسَ عَجَاجةُ الدابَّة - أي غُبارها - خمَّر ابنُ سلولٍ أنفَه بردائه، ثم قال: لا تغبِّروا علينا!!

فنزل رسولُ اللَّه ﷺ عليهم، ثم وقَفَ فدعاهم إلى اللَّه، وقرأ عليهم القرآن!

فقال له ابنُ سلول: أيها المرء لا أحسنَ ممَّا تقول، إنْ كان حقاً فلا تُؤذينا به في مجلسنا، ارجعْ إلى رَحْلك - أي مقرِّك الذي تسكن فيه - فمن جاءك منَّا فاقصُصْ عليه!

فقال ابنُ رواحة: بلى يا رسول اللَّه، فاغْشَنَا به في مجالسنا، فإنَّا نحبُّ ذلك!؟

فاستبَّ المسلمون والمشركون واليهود، حتى كادوا يتثاورون ـ أي يهجم بعضهم على بعض ـ فلم يزل النبيُّ ﷺ يخفِّضهم ـ أي يهدِّئهم ـ حتى سكنوا.!

ثم ركب النبي ﷺ دابته، فسار حتى دخل على (سَعْدِ بنِ عُبَادة) فقال له ﷺ: يا سعدُ، ألم تسمع إلى ما قاله (أبو حباب) ـ يعني ابنَ سلول ـ؟ قال: كذا، وكذا؟!

فقال له سعدُ بنُ عُبادة: يا رسول اللَّه، اعفُ عنه واصفحْ، فوالذي أنزلَ عليك الكتاب، لقد جاء اللَّهُ بالحقِّ ـ أي بالرسالة التي أُنزلت عليكَ ـ وقد اصطلح أهلُ هذه (المدينة) على أن يتوِّجوه بعمامةِ الملوك، فيجعلوه مَلِكاً عليهم.!

فلمَّا أبى اللَّهُ، بالحقِّ الذي أعطاك اللَّهُ، شَرِقَ بذلك ـ أي غصَّ ابنُ سلول بما أعطاك اللَّهُ ـ فذلك الذي فعل به ما رأيتَ!! فعفا عنه رسولُ اللَّه ﷺ!

العفو عن المشركين وأهل الكتاب

وكان النبيُّ ﷺ وأصحابُه، يعفون عن المشركينَ وأهل الكتاب، بما أمرهم اللَّهُ به ﴿فَٱعْفُواْ وَٱصْفَحُواْ حَتَّىٰ يَأْتِيَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ١٠٩] وكان النبي ﷺ يتأول العفو، بما أمره اللَّه به، حتى أذن اللَّهُ فيهم، فلما غزا رسولُ اللَّه ﷺ بدراً، فقتل اللَّهُ به صناديد كفار قريش.

قال ابنُ سلول لجماعته: هذا أمرٌ قد توجَّه ـ أي ظهر فيه وجهُ الحقِّ ـ فبَايِعُوا الرسولَ على الإسلام فأسلَموا)[1].

لقد أعلنوا إسلامهم ظاهراً، وأبطنوا في قلوبهم الكفر والتكذيب، وظهرت شرذمةُ المنافقين في المدينة المنورة، حتى كشف اللَّه عن سرائرهم، وأخبر عن فجورهم وطغيانهم ﴿وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَقُولُ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَبِٱلْيَوْمِ ٱلْأَخِرِ وَمَا هُم بِمُؤْمِنِينَ ۝ يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ۝ فِى قُلُوبِهِم مَّرَضٌ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضًا وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌۢ بِمَا كَانُواْ يَكْذِبُونَ﴾ [البقرة: ٨ ـ ١٠].

* * *

(١) أخرجه البخاري في كتاب التفسير ٣/ ١١٥.

خطرُ المنافقين يتطاولُ المساجدَ
قصة أبي عامر الراهب ومسجد الضرار

(٦٦)

ورد في القرآن الكريم قصة (مسجد الضرار) وهو الذي بناه بعضُ المنافقين، للتآمر على الإسلام والمسلمين، فقد بلغ الخبثُ والمكرُ بالمنافقين، أن يتخذوا بيوتَ اللَّه أوكاراً للتخريب والتدمير، وإلقاءِ الفتنة بين أهل الإيمان، لينْخروا في جسم (الدولة الإسلامية) من الداخل.

والخطرُ إذا جاء من الداخل، يكون أعظم من الخطر القادم من الخارج، حيث تكون السهام مسدَّدة إلى المسلمين من خلف ظهورهم.

بناءُ المنافقين لمسجد الضِّرار

بنوا هذا المسجد، وسمَّوه (مسجداً) مضارَّة للمؤمنين، وقد اشتهر باسم (مسجد الضِّرار) نصرةً للكفر الذي يخفونه في قلوبهم، وليفرِّقوا به جماعةَ المؤمنين، فيصرفونهم عن (مسجد قُباء) الذي صلَّى فيه رسولُ اللَّه ﷺ، أوَّلَ قدومه المدينة المنورة.!

وكان رئيس هذه الطائفة رجلٌ من الخزرج، اسمه (أبو عامر الراهب) كان ﷺ يسمِّيه (الفاسق) لكثرة فجوره، وتآمره على المسلمين، وفيه وفي جماعته المنافقين، نزل القرآن الكريم، يكشف الأستار عنهم، في بناء هذا المسجد المسمَّى (مسجد الضرار) حيث يقول تقدست أسماؤه:

﴿ وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًۢا بَيْنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبْلُ ۚ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّا ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ۞ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا ۚ لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ ۚ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا۟ ۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ ﴾ [التوبة: ١٠٧ ـ ١٠٨].

سبب نزول الآيات الكريمة

روي في سبب نزول هذه الآيات، أنه كان بالمدينة المنورة ـ قبل مَقْدم

رسول اللَّه ﷺ ـ رجلٌ من الخزرج، يُقال له: (أبو عامر الراهب) كان قد تنصَّر في الجاهلية، وله مكانةٌ عظيمة بين الخزرج، فلمَّا قدم رسولُ اللَّه ﷺ مهاجراً إلى المدينة، واجتمع المسلمون حوله، وأصبح للمسلمين دولةٌ وقوة، وكلمةٌ عالية، شَرِق اللَّعينُ (أبو عامر) بما وصل إليه أمرُ محمد ﷺ، وأضمر له العداء.

خرج أبو عامر فاراً إلى كفار مكة، يُحرِّضهم على حرب محمد ﷺ، فاجتمعوا مع من وافقهم من أحياء العرب، وقدِموا المدينة في العام الذي وقعت فيه (غزوة أُحُد) وكان من أمرِ المسلمين ما كان، من النصر أولاً ثم الهزيمة، ثم أعاد اللَّهُ لهم النصرَ المبينَ، على المشركين، وكانت العاقبةُ للمتقين.!

وقوع الرسول ﷺ في إحدى الحفر

وكان هذا الفاسقُ قد حفر حفائر، فيما بين صفيِّ المؤمنين والمشركين، فوقع في إحداهنَّ رسولُ اللَّه ﷺ، وأُصيب في ذلك اليوم إصابة شديدة، فجُرِحَ وجهُهُ الشريف، وكُسرت رباعيتُه ـ أسنانُه السفلى ـ وشُجَّ رأسه، صلوات اللَّه وسلامه عليه.

وتقدَّم الشقيُّ اللعينُ (أبو عامر) في أول المبارزة، إلى قومه من الأنصار، فخاطبهم واستمالهم إلى نصره وتأييده، في حرب الرسول ﷺ، فلمَّا سمعوا كلامه قالوا له: لا أنعمَ اللَّه بك عيناً يا فاسقُ، يا عدوَّ اللَّه، تريد منا أن نعينك على حرب الرسول، وقد أكرمنا اللَّه به، وجَمَعَ شَمْلَنا على يديه؟

ونالوا منه وسبُّوه، فرجع عنهم وهو يقول: لقد أصاب قومي بعدي شرٌّ كبير وبلاءٌ مستطير!!

فرارُ أبي عامر إلى الشام

ولمَّا انتصر رسولُ اللَّه ﷺ في أُحُد، وفي حنين، فرَّ عدوُّ اللَّه (أبو عامر) إلى بلاد الشام ـ وكانت تحت (هِرَقل) مَلِك الروم ـ يستنصره على حرب الرسول ﷺ، وأرسل إلى المنافقين من إخوانه، أن ابنوا لي (مسجداً) فإني ذاهب إلى ملك الروم، فآتي بجيش عظيم، أقاتل به محمداً وأصحابه، وأطردهم من المدينة!

فبنوا له مسجداً قريباً من (مسجد قُباء)، ليصرفوا الناسَ عنه إلى مسجدهم، (مسجدِ الضرار) وأتَوْا رسولَ اللَّه ﷺ فقالوا: يا رسولَ اللَّه، لقد بنينا مسجداً قريباً للمريض، والغريب، وذي الحاجة، ونحبُّ أن تأتينا فتصلِّي لنا فيه، ليتبارك المسجد بصلاتك، ونعبد اللَّهَ فيه!!

صادفَ ذلك الوقتُ، وقتَ خروجه ﷺ لغزوة تبوك، فقال لهم ﷺ: إني على جَنَاح سفر، وفي حال شُغْل، وإذا رجعتُ من سفري، أتيتكُم فصلَّيتُ لكم فيه إن شاء اللَّه تعالى.

عودة الرسول ﷺ من غزوة تبوك

فلمَّا رجع رسول اللَّه ﷺ من (غزوة تبوك) أتاه المنافقون فسألوه أن يأتي مسجدهم للصلاة فيه، وكان الوحيُ قد سبق مجيئهم، حيث نزل عليه جبريل يخبره بأمر (مسجد الضِّرار) وما قَصَدوه من وراء بناء هذا المسجد، من الكفر والتفريق بين جماعة المؤمنين، في مقابَلَة مسجدهم الذي بُني على التقوى (مسجد قُباء) الذي كان أول مسجد بُني في المدينة المنورة، والغَرَض الذي أراده المنافقون من وراء بناء هذا المسجد من الكيد، والتآمر، وبثِّ الفرقة بين المسلمين!

كشفُ القرآن للأغراض الخبيثة في بناء مسجد الضِّرار

ونزل القرآن الكريم يفضحهم، ويُبيِّن غرضَهم الخبيثَ، من وراء بناء هذا المسجد، وينهى الرسولَ ﷺ أن يصلِّي فيه، حيث يقول تقدست أسماؤه: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ مَسْجِدًا ضِرَارًا وَكُفْرًا وَتَفْرِيقًۢا بَيْنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَإِرْصَادًا لِّمَنْ حَارَبَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ مِن قَبْلُ ۚ وَلَيَحْلِفُنَّ إِنْ أَرَدْنَآ إِلَّا ٱلْحُسْنَىٰ ۖ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّهُمْ لَكَٰذِبُونَ ۝ لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا ۚ لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ ۚ فِيهِ رِجَالٌ يُحِبُّونَ أَن يَتَطَهَّرُوا۟ ۚ وَٱللَّهُ يُحِبُّ ٱلْمُطَّهِّرِينَ﴾ [التوبة: ١٠٧، ١٠٨].

وكانت نهايةُ (مسجد الضرار) أن دعا رسولُ اللَّه ﷺ بعضَ أصحابه، فقال لهم: اذهبوا إلى هذا المسجد، الظالمِ أهلُه، فأحرقوه واهدموه!! وأمر أن تُلقى فيه القُمامةُ والجِيَف.!

فذهبوا فحرَّقوه وهدموه، وتفرَّق عنه أصحابه، بعد أن فضحهم القرآن على رؤوس الأشهاد، في نيَّتهم الخبيثة في بناء ذلك المسجد، الذي جعلوه وكراً للتخريب والتدمير، وإلقاء بذور الفتنة بين أهل الإيمان[1].

ومعنى قوله تعالى: ﴿لَا تَقُمْ فِيهِ أَبَدًا﴾ أي لا تصلِّ يا أيها الرسول في هذا المسجد أبداً، لأنه لم يُبْنَ على طاعة اللَّه، إنما بُنِيَ لغرضٍ فاجر خبيث، ليكون حصناً ومعقلاً لأهل الضلال والنفاق.

وقولُه سبحانه: ﴿لَّمَسْجِدٌ أُسِّسَ عَلَى ٱلتَّقْوَىٰ مِنْ أَوَّلِ يَوْمٍ أَحَقُّ أَن تَقُومَ فِيهِ﴾ يُرادُ به

(١) رواه ابن مردويه وإسحاق، وانظر تفسير ابن كثير ٢/ ١٦٨.

(مسجدُ قُباء) الذي بني على تقوى اللَّه وطاعته، من أول يوم ابتُدئ في بنائه، فإنه مسجدٌ كريم مبارك، شُيِّد على أساس التقوى، والعمل الصالح، فهو أحقُّ بالصلاة فيه، ولهذا ورد في الحديث الصحيح (صلاةٌ في مسجد قباء كعمرة)[1] أي يعدل ثواب عمرةٍ في الأجر والمثوبة.

وفاة الشقيِّ الفاجر أبي عامر

لقد مات أبو عامر بالشام وحيداً، غريباً، طريداً، بدعوةٍ دعا بها على نفسه، فقد رُوي أن النبيَّ ﷺ لمَّا قدِم المدينةَ المنوَّرة، أقبل إليه (أبو عامر) الفاسقُ، فقال له: ما هذا الدينُ الجديد الذي جئتنا به؟ فقال له ﷺ: لقد جئتكم بالحنيفية السمحة، دين إبراهيمَ خليلِ الرحمن!

فقال له أبو عامر: أنا على دين الحنيفية.!

فقال له عليه الصلاة والسلام: إنك لستَ على ملَّة إبراهيم، فقد أدخلتَ في الحنيفية ما ليس فيها!! فقال له عدوُّ اللَّه: بل أنت يا محمد أدخلتَ فيها ما ليس في دين إبراهيم، فلستَ على دين الحنيفية.

فأجابه ﷺ بقوله: لقد جئتكم بها بيضاءَ نقيَّة، ليلُها كنهارها، فقال أبو عامر: أماتَ اللَّهُ الكاذبَ منَّا، وحيداً، غريباً، طريداً. فقال له ﷺ: آمين!! فكانت نهايةُ هذا الشقي أن مات طريداً وحيداً شريداً. ومن غريب أمر هذا الفاسق، أنه كان له ابنٌ صالح، يقال له (أبو حنظلة) مات شهيداً في غزوة أُحد، فغسَّلته الملائكةُ عليهم السلام، فكان يُسمَّى (غسيلَ الملائكة) وقد تقدمت قصته رحمه اللَّه تعالى، وأسكنه فسيح جناته.

---

(١) انظر تفسير ابن كثير ٢/ ١٦٧.

obeikandl.com

الأشقياء الذين ورد ذكرهم في القرآن
ما نزل من القرآن في بعض الطغاة
«قصة الطاغية العاص بن وائل»

٦٧

(العَاصُ بنُ وَائِل) أحدُ الطغاة من صناديد قريش، الذين تمالؤوا على حرب الإسلام، ووقفوا في وجه دعوة محمد ﷺ، يريدون بذلك إطفاء نور الله، وأذاقوا المسلمين المستضعفين أنواع العذاب والبلاء.

إنَّ هذا الشقيّ والدُ (فاتح مصر)، الصحابي المؤمن المجاهد (عَمْرو بن العاص) الولدُ مؤمنٌ تقيٌّ، والوالدُ كافر شقيٌّ، وسبحان الله ﴿يُخْرِجُ ٱلْحَىَّ مِنَ ٱلْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ ٱلْمَيِّتِ مِنَ ٱلْحَىِّ ...﴾ الآية [الأنعام: ٩٥]!!

لهذا الكافر الفاجر (العاص بن وائل) قصة عجيبة وغريبة، مع أحد المؤمنين، السابقين إلى الدخول في الإسلام هو (خبَّابُ بنُ الأرتِّ) فقد كان (خبَّاب) رضي الله عنه، يصنع الدروع والسيوف، وسائر الأدوات الحديدية، كان (حدَّاداً) ولمَّا أسلم جاء يتقاضى دَيْنه من (العاص بن وائل) فقد كان له مبلغ كبير من المال عنده، فأبى هذا الظالم أن يدفع إليه حقَّه، حتى يكفر بمحمد ﷺ، ويرجع عن الإسلام، إلى عبادة الأوثان والأصنام، مستغلاً بذلك وجود دَيْنٍ له عنده، طامعاً أن يصدَّه عن دين الإسلام، بتلك الطريقة الظالمة الفاجرة.

ولنستمع إلى قصته كما رواها لنا الإمامُ البخاري ومسلم في صحيحهما، وما نزل من الآيات في حقِّ ذلك الشقي الفاجر، الذي كثُر خبثه وشرُّه.

يروي لنا البخاري رضي الله عنه القصة بسنده فيقول: عن خبَّاب بنِ الأرتِّ رضي الله عنه أنه قال:

(كنتُ قيناً ـ أي حدَّاداً ـ في الجاهلية، فعملتُ للعاصِ بنِ وائل سيفاً، فجئت أتقاضاه حقي ـ أي أطلب منه حقي ـ فقال لي: لا واللَّهِ لا أعطيك حقَّك، حتى تكفر بمحمد، وترجع إلى عبادة اللَّاتِ والعُزَّى.!

obeikandl.com

فقلتُ له: لن أكفر بمحمد ﷺ حتى تموتَ ثم تُبعث!! ـ يريد السخريةَ به أي إذا متَّ أمامي الآن ثم قمتَ حياً أفكّر في طلبك ـ.

فقال له الفاجر: إنّي لميّتٌ ثم مبعوث بعد الموت؟ إذاً فانتظرني إلى ذلك اليوم، الذي أُبعث فيه، فإنني إذا بُعثتُ كان لي مال كثير وأولادٌ، فأعطيتك حقَّكَ، فأنزل اللَّه هذه الآيات الكريمة، في حقّ ذلك الشقي الفاجر: ﴿أَفَرَءَيْتَ ٱلَّذِى كَفَرَ بِـَٔايَـٰتِنَا وَقَالَ لَأُوتَيَنَّ مَالًا وَوَلَدًا ۞ أَطَّلَعَ ٱلْغَيْبَ أَمِ ٱتَّخَذَ عِندَ ٱلرَّحْمَـٰنِ عَهْدًا ۞ كَلَّا ۚ سَنَكْتُبُ مَا يَقُولُ وَنَمُدُّ لَهُۥ مِنَ ٱلْعَذَابِ مَدًّا ۞ وَنَرِثُهُۥ مَا يَقُولُ وَيَأْتِينَا فَرْدًا﴾[1] [مريم: ٧٧ ـ ٨٠].

ومعنى الآيات الكريمة: أخبرني يا أيها الرسول عن أمر هذا الشقي الفاجر، الذي جحد بآيات اللَّه، وكذَّب بالبعث والنشور، ثم زعم أن اللَّه سيعطيه في الآخرة الأموال والبنين؟

هل اطَّلع ذلك الفاجر على الغيب؟ أم أعطاه اللَّه عهداً مؤكَّداً موثَّقاً، بأنَّ اللَّه تعالى سيكرمه في الآخرة، فهو يتكلَّم عن ثقةٍ ويقين؟ أم هو مجرَّدُ الظنِّ والتخمين؟ كلَّا فليس الأمر كما يزعم، فليرتدع هذا الشقي الخاسر، عن هذه الأماني الفارغة، فلن يكون له عند اللَّه ما يشتهي، بل سنضاعف له العذابَ، ونذيقه منه أنواعاً مكان العطاء، زيادةً على تعذيبه في الدنيا، ونرثه كلَّ ما يملك ويأتينا يوم القيامة وحيداً فريداً، لا مال له ولا ولد، ولا نصير له ولا سند.

والأسلوبُ كما هو ظاهر من السياق ـ أسلوبُ (سخريةٍ وتهكم)، فإن المدَدَ يكون بالخير والعطاء، لا بالعذاب والبلاء، فكما سخر هذا الشقيُّ من آيات اللَّه، وزعمَ أن اللَّه سيكرمه في الآخرة بأنواع الكرامة، مع جحوده وإنكاره للآخرة، فقد جازاه اللَّه جزاءً وفاقاً، بإكرامه بأنواع العذاب والبلاء، بالمدَد الذي يليق به من الذلّ والهوان، وإصلائه بنار الجحيم، ويقال له يوم القيامة: ﴿ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْكَرِيمُ﴾ [الدخان: ٤٩] وأيُّ عزةٍ وكرامة لمن تكون له هذه الإهانة؟

هذا هو السرُّ في ختم الآية الكريمة، بقول اللَّه تعالى: ﴿وَنَمُدُّ لَهُۥ مِنَ ٱلْعَذَابِ مَدًّا﴾.

وهو بحقٍّ أسلوبٌ تهكميٌّ ساخر، يليق بحال هذا الشقي الفاجر.!

لقد انقطع ذكرُ هذا الكافر، فمات على الكفر والفجور، وبقي ذكر ولده القائد المنتصر (عَمْرو بن العاص) مخلَّداً على مدى الزمان، يحكي لنا بطولته وجهاده، فهو الذي فتح مصر، وأشاع فيها نورَ الإسلام.!

* * *

(١) انظر صحيح البخاري ٣/١٥٨ كتاب التفسير.

قصة الشقي عُقبة بن أبي معيط وما نزل فيه من الآيات

(٦٨)

نموذج آخر من نماذج الكفر والطغيان، نموذجُ من تأثَّر بسماع القرآن، فأسلم بعد أن تحقَّق له صدق رسالة محمد ﷺ، وأيقن أن ما جاء به رسولُ اللَّه، من الوحي الإلٰهي الصادق، ولكنه في سبيل إرضاء زعماء الكفر، وقرناء السُّوء، ارتدَّ عن الإسلام وارتكس، فخسر خسراناً مبيناً.!

ذلك الشقيُّ هو (عُقبةُ بنُ أبي مُعَيْط) وإليكم قصَّته كما رواها أبو نُعيم في دلائل النبوة حيث جاء فيها ما يلي:

كان عُقبةُ بنُ أبي مُعَيط، يُكثر مجالسةَ الرسولِ ﷺ بمكة، ويعجبه حديثُه، وكان كلَّما سافر، ثم رجع من سفر، دعا أصحابه إلى تناول طعام وليمة، يصنعها لهم، احتفاءً بعودته سالماً!

ودعا ذات يوم رسول اللَّه ﷺ إلى طعامه، بعد أن رجع من سفره، فأتاه ﷺ طمعاً في إسلامه، فلمَّا حضر الطعامُ، وقُدِّم إلى الضيوف، أبى رسول اللَّه ﷺ، أن يأكل من طعامه، حتى يشهدَ له بالرسالة، أنه (رسولُ اللَّهِ) طمعاً في أن يستجيب لدعوته فيُسلم، لأنه كان يرى منه الأنسَ واللُّطف.

عقبة يعلن إسلامه

شهد له (عُقبةُ) بالرسالة فقال: أشهد أنك رسولُ اللَّه، وأنك صادقٌ فيما تقول، فأكل رسولُ اللَّه ﷺ من طعامه.!

كان لعقبةَ صديقٌ حميم، لم يحضر الوليمةَ لأنه كان مسافراً، اسمه (أُبيُّ بنُ خَلَفٍ) أحدُ صناديد الكفر، ودعاة الضلالة، فلمَّا رجع من سفره، أخبره بعضُ من حضر الوليمة، أن (عُقبة) صديقه الوفيَّ الحميم، قد أسلمَ، ودخل في دين محمد، فغضب غضباً شديداً، وعزم على مقاطعته، وعلى ألَّا يكلِّمه أبداً، لأنه اتَّبع محمداً، ودخل في دينه!

غضبُ أُبيّ بن خلف على عُقبة

جاء إليه ذات يوم، وهو مكفهِرُّ الوجه غضبان، وقال له: يا عُقبة بلغني أنك قد صبأتَ ـ أي أسلمتَ ـ ودخلتَ في دين محمد!!

فقال له عُقبة: هوِّنْ عليك، فإنني لم أصبَأْ، ولم أدخلْ في دين محمد، وإنما دخل عليَّ رجل عظيم، أمينٌ صادق، وأبى أن يأكل من طعامي، حتى أشهد له بالرسالة، وأنا أعلم صدقه، فشهدتُ له بذلك، شهدت أنه رسولُ اللَّه، وأنت تعلمُ أن محمداً لا يكذب، وما جرَّبنا عليه كذبةً قطُّ.

فقال له صديقه الشقيُّ (أبيُّ بنُ خَلَف): وجهي من وجهك حرامٌ ـ أي لا أراكَ ولا تراني ـ ولا أكلِّمك أبدَ الدهر، حتى تأتي محمداً، فتردَّ عليه دعوته، وتبصق في وجهه وتشتمه، وترجع إلى دين آبائك وأجدادك!!

ارتداد عُقبة عن الإسلام

أراد عُقبة أن لا يخسر صديقه الشقيَّ الحميم، وألَّا يقطع صلته به، وأن يرجع عن إقراره لمحمد ﷺ بأنه رسولُ اللَّه، فجاء إلى الرسول ﷺ، وقال له: أنا كافرٌ بدينك، منكرٌ لرسالتك، وأراد أن يبصق في وجه الرسول، ولكنَّ البُصاقَ ارتدَّ على وجه الشقي (عُقبة).

وكان في آخر قصته أنه ارتدَّ عن الإسلام، وقُتل يوم بدر (كافراً) وفيه نزلت هذه الآيات الكريمة: ﴿وَيَوْمَ يَعَضُّ الظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَا لَيْتَنِي اتَّخَذْتُ مَعَ الرَّسُولِ سَبِيلًا * يَا وَيْلَتَىٰ لَيْتَنِي لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا * لَقَدْ أَضَلَّنِي عَنِ الذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَاءَنِي وَكَانَ الشَّيْطَانُ لِلْإِنسَانِ خَذُولًا﴾[1] [الفرقان: ٢٧ ـ ٢٩].

وقد اتفق المفسرون على أن هذه الآيات نزلت في (عُقبة بنِ أبي مُعَيط) وصديقه (أُبيِّ بنِ خلف) وهي عامةٌ في كل ظالم فاجر، ضلَّ بعد الهدى، بسبب مصادقته الأشرار.

توضيح معنى الآيات الكريمة

ومعنى الآيات الكريمة: اذكر يا أيها الرسولُ، ذلك اليومَ العصيبَ الرهيب، الذي يتحسَّر فيه ذلك الشقيُّ الظالمُ لنفسه (عُقبةُ بن أبي مُعيط) على ما فرَّط في

(١) انظر الدلائل لأبي نعيم، وتفسير الحافظ ابن كثير ٢/ ٦٢٨.

obeikandl.com

جنب اللَّه، وكذَّب برسالة محمد ﷺ، بعد أن شهد له بالرسالة، إرضاءً لصديقه الشقيِّ الفاجر (أُبيِّ بنِ خلف) ويقول متحسِّراً على ما حدث منه: يا ليتني اتخذتُ طريقاً مع الرسول، ينجيني من عذاب اللَّه!! ﴿يَٰوَيۡلَتَىٰ لَيۡتَنِي لَمۡ أَتَّخِذۡ فُلَانًا خَلِيلًا﴾ أي يا هلاكي ويا حسرتي، ليتني لم أتخذ لي صاحباً هو (أبيُّ بنُ خلف) ولم أجعله صديقاً لي، أطيع أمره، فلقد أضلَّني وصرفني عن الهدى والإيمان، إلى الكفر والضلالة، بعد أن هداني اللَّه وآمنتُ، وهكذا شأن الشيطان الكافر، يُغْوي الإنسانَ ويضلُّه، ثم يتبرأ منه، فلا ينقذه ولا ينصره، لأن الشيطان للإنسان عدوٌّ مبين.!

ما فعله الشقي عقبة برسول اللَّه ﷺ

بعد أن ارتدَّ هذا الشقيُّ عن الإسلام، اشتدَّ أذاه على رسول اللَّه ﷺ، فكان يضمر له العداوة، وينال من رسول اللَّه ﷺ بلسانه ويده، إظهاراً لقومه أنه تخلَّى عن دين محمد، ولم يَعُدْ له صلةٌ بالإسلام بالكُلِّيَّة، لِيُرْضيَ بذلك قومه المشركين.

روى البخاري عن (عُروةَ بنِ الزبير) أنه قال: قلتُ (لعبدِ اللَّهِ بنِ عَمْروِ بنِ العاص) أخبرني بأشدِّ شيءٍ صَنَعه المشركون برسول اللَّه ﷺ؟

فقال: بينما النبيُّ ﷺ يصلِّي في حِجْر الكعبة، إذْ أقبلَ عليه (عُقْبةُ بنُ أبي مُعَيط) فوضع ثوبَه على عُنُقه، فخنقه خنقاً شديداً ـ أي كاد يخنق الرسول ﷺ من شدة ما فعله به ذلك الشقيُّ ـ فأقبل أبو بكر رضي اللَّه عنه مسرعاً، وأخذ بمنْكِب رسول اللَّه ﷺ، ودَفَع الظالمَ عن النبيِّ ﷺ، وهو يقول: ﴿أَتَقۡتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ وَقَدۡ جَآءَكُم بِٱلۡبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمۡ﴾[1]؟ [غافر: ٢٨].

رواية أخرى في العدوان على رسول اللَّه ﷺ

وفي رواية أبي يَعْلى: أن المشركين قعدوا في المسجد، يتذاكرون رسولَ اللَّه ﷺ وما يقوله في آلهتهم ـ أي أصنامهم ـ فبينما هم كذلك، إذْ أقبلَ رسولُ اللَّه ﷺ فقاموا إليه بأَجْمَعِهم، يريدون الفتكَ به، فجاء الصريخُ ـ أي المبلِّغ والمنذر ـ إلى أبي بكر رضي اللَّه عنه، فقالوا له: أدركْ صاحبَك محمداً، فإنَّ المشركين أحاطوا به، يريدون قتله!!

فخرج (أبو بكر) وله غدائرُ أربعٌ، مسرعاً نحوهم، وهو يبكي ويقول:

---

(١) الحديث رواه البخاري في التفسير ٣/ ١٨٣ والمعنى: أتقتلون رجلاً لا ذنب له إلَّا أنه قال لكم اعبدوا اللَّه؟ وقد جاءكم بالمعجزات الظاهرة التي تدل على صدقه.

ويلكم ﴿ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ ﴾؟ فاشتغلوا عن رسول اللَّه بأبي بكر، وضربوه ضرباً موجعاً حتى غُشي عليه.

حُمل إلى بيته وهو بين الموت والحياة، فلمَّا أفاق من غشيته، قال لهم: كيف حالُ رسولِ اللَّه؟ قالوا له: هو بخير إن شاء اللَّه، قال: احملوني إليه، وجعل يكررها ويقولون له: هو بخير، قال: لا، إلَّا أن أراه، فذلك من أشد ما لاقاه رسول اللَّه ﷺ.

جريمة أخرى يصنعها الشقيُّ عُقبة بالنبي ﷺ

ومن جرائم هذا الشقيّ (عُقْبةُ بنُ أبي مُعَيط) أن المشركين كانوا في المسجد الحرام ذات يوم، وكان فيهم سبعة من رؤساء الطغيان، يتحدثون في الحِجْر ـ حجر إسماعيل ـ فيهم (أبو جهل، وشيبة، وعُتبة، وعُقبة بن أبي معيط، وأمية بن خلف، ورجلان آخران) ورسولُ اللَّه ﷺ كان قد دخل المسجدَ الحرام ليصلِّي فيه، فتآمروا بينهم على الرسول الكريم، فقال أبو جهل اللعين: أيُكم يذهب إلى (سَلَا جَزُور) بني فلان ـ أي كرش الجمل المملوء نجاسة ـ فيضعه على ظهر محمد إذا هو سجد؟

فانطلق أشقى القوم (عُقْبةُ بن أبي مُعَيط) فأتاهم به، ووجدَ الرسول ساجداً ـ وكان ﷺ إذا سجد أطال السجود ـ فألقاه على ظهره، وهو ﷺ ساجد، وجعل الأشقياءُ السبعة يتضاحكون، حتى كان بعضهم يميل على بعض من شدة الضحك، لهذا المنظر ـ الرسولُ ساجد وعلى ظهره القذرُ والنجسُ ـ.

يقول ابن مسعود: وأنا أشاهد المنظر، وقلبي يتقطَّع من الألم، لا أستطيع أن أتكلَّم، ولا أستطيع أن أدفع الأذى عنه، فلم يكن لي مَنَعةٌ تمنعني من بطشهم.

فاطمةُ بنتُ الرسول ترفع الأذى عن أبيها

وبَلَغَ الخبرُ إلى السيدة (فاطمةَ الزهراء) بنتِ رسول اللَّه ﷺ، فجاءت مسرعة، ورفعت الأذى عن رسول اللَّه ﷺ، وأخذت تلعنهم وتسبُّهم، فلمَّا قضى رسول اللَّه ﷺ صلاته، رفع يديه ودعا عليهم، فقال: اللهمَّ عليك بقريش ـ ثلاثاً ـ اللهم عليك بأبي جهل، وعُتبة، وشيبة، وعُقبة بن أبي مُعَيْط، وفلان وفلان، وخصَّ بالدعاء السبعةَ الذين كانوا يتضاحكون.!

يقول ابن مسعود: فواللَّهِ لقد رأيتُ الذين ذكرهم رسول اللَّه ودعا عليهم، صرعى يوم بدر، وقد أُلقِيتْ جُثَثُهم في قليب ـ حفرة كبيرة ـ أُلقوا فيها كما تُلْقى

الجِيفُ، ووقف رسول اللَّه عليهم، وصار يناديهم بأسمائهم: يا فلانَ بْنَ فلان، واحداً واحداً: هل رأيتُم ما وعدكم ربكم حقاً؟ فقد رأيت ما وعدني ربي حقاً!!

فجاء عمر وقال: يا رسول اللَّه، أتكلِّم أقواماً قد جيَّفوا؟ ـ أي أصبحوا جيفاً منتنة، ـ فقال له ﷺ: ما أنتم بأسمع لما أقول منهم، ولكنهم لا يستطيعون جوابي[1].

وفي هذا الشقيِّ وأمثاله، نزل القرآنُ الكريمُ، يواسي رسولَ اللَّه ﷺ، ويخبره بهلاكهم في القريب العاجل، وذلك في قوله جلَّ ثناؤه: ﴿ فَٱصۡدَعۡ بِمَا تُؤۡمَرُ وَأَعۡرِضۡ عَنِ ٱلۡمُشۡرِكِينَ * إِنَّا كَفَيۡنَٰكَ ٱلۡمُسۡتَهۡزِءِينَ * ٱلَّذِينَ يَجۡعَلُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَۚ فَسَوۡفَ يَعۡلَمُونَ * وَلَقَدۡ نَعۡلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدۡرُكَ بِمَا يَقُولُونَ * فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ ٱلسَّٰجِدِينَ * وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ ﴾ [الحجر: ٩٤ ـ ٩٩].

قال في تفسير روح البيان: نزلت الآيات في خمسة نفر، من صناديد الكفر، ذوي شأنٍ عظيم وخَطَر، كانوا يبالغون في إيذاء رسول اللَّه ﷺ والاستهزاء به، فأهلكهم اللَّه في يوم واحد[2].

* * *

(١) هذه القصة ذكرها الطبراني عن عبد اللَّه بن مسعود، وأصل الحديث أخرجه البخاري ومسلم وانظر رواية الصحيحين.

(٢) تنوير الأذهان من تفسير روح البيان ٢/ ٢٩٦.

obeikandl.com

قصةُ الشقيِّ أُبيِّ بن خَلَف وما نزل فيه من الآيات

(٦٩)

(أُبيُّ بنُ خَلَف) أحدُ طواغيتِ الكفر، منْ أربابِ الفجور والطغيان، وهو الذي تسبَّب في شقاء صديقهِ (عُقبةَ بنِ أبي مُعَيط) ـ الذي تقدمت قصته سابقاً ـ فحرَفَه عن الإيمان إلى الكفر، وعن الهدى إلى الضلال.

كان أُبيُّ بنُ خَلَف كافراً فاجراً، جاحداً للبعث، منكراً للآخرة، لا يعتقد بجنة ولا نار، ولا حساب ولا جزاء، بل كان يهزأ ويسخر ممن يصدِّق بالحياة بعد الموت.

جاء ذات يوم إلى منتدى طواغيت قريش، وهم جالسون يتحدثون، فقال لهم: أَلَا ترون إلى ما يقول هذا الصابئ (محمد)؟ يزعم أنَّ اللَّه يبعث الأموات من القبور، ويحييهم بعد أن صاروا رُفاتاً مختلطاً بترابِ الأرض، وبعد أن لم يبق لهم أثرٌ!؟

يقول عدوُّ اللَّه: واللَّات والعُزَّى لأذهبنَّ إلى محمد ولأخصمنَّه ـ أي أقيم عليه الحجة بما ترون!!

أُبيُّ بنُ خلف يستهزئ من عقيدة البعث

فذهب إلى رسول اللَّه ﷺ بعظم بالٍ نَخِرٍ، يكاد من اللَّمس يتفتَّتُ لِقِدَمه، ووقف أمامَ النبيِّ ﷺ هازئاً ساخراً، ثمَّ قال له: يا محمد، أتزعمُ أن اللَّهَ يُحْيينا بعد أن نموت؟ ونصبحَ عظاماً بالية، مثل هذا العظم البالي؟ وفتَّ العظمَ بين يديه، فإذا به يتناثر ذرات، والمشركون ينظرون ويضحكون!!

فقال له النبي ﷺ: نعم، سيميتك اللَّهُ ثم يُحييك، ثم يدخلك نار جهنم!! يقول له: أتسخر من قدرة اللَّه؟ من أحياك بعد أن لم تكن شيئاً يذكر؟ إنَّ الذي أحياك من العدم، هو الذي يحييك بعد موتك مرة أخرى!!

وفي هذا الشقي، الجاحد الكافر، نزلت هذه الآيات الكريمة: ﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَٰنُ

أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ ۞ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُۥ ۖ قَالَ مَن يُحْىِ ٱلْعِظَٰمَ وَهِىَ رَمِيمٌ ۞ قُلْ يُحْيِيهَا ٱلَّذِىٓ أَنشَأَهَآ أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴾ [يسّ: ٧٧ ـ ٧٩] الآيات إلى آخر السورة.

ما المقصود بالإنسان في الآية الكريمة؟

المراد بالإنسان في هذه الآية الكريمة: ﴿أَوَلَمْ يَرَ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن نُّطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُّبِينٌ﴾ على رأي جمهور المفسرين، هو (أبيُّ بنُ خَلَف).

قال الحافظ ابن كثير: قال مجاهد وعكرمة: جاء (أُبيُّ بنُ خلف) لَعَنَه اللَّه، إلى رسول اللَّه ﷺ، وفي يده عظمٌ رميم ـ أي فانٍ بالٍ ـ وهو يفتُّه ويذروه في الهواء، وهو يقول لرسول اللَّه ﷺ: يا محمد، أتزعم أن اللَّه يبعث هذا؟ صاحب هذا العظم؟ وجعل يفتُّه بيده؟ فقال له النبي ﷺ: نعم إن اللَّه يميتُك، ثم يبعثك ويُحييك، ثم يحشرك إلى النار، وفيه نزلت هذه الآيات من آخر سورة يسّ.!

ثم قال ابن كثير: وهي عامةٌ في كلِّ من أنكر البعث، بعد الموت والفناء.

ثم ذكر الحافظُ ابن كثير حديثاً رواه الإمام أحمد في المسند عن (بِشْرِ بنِ جَحَّاش) أنه قال: (كنا في مجلسٍ مع النبي ﷺ، فبصق ﷺ يوماً في كفِّه ـ أي فتح يده الشريفة وتفل فيها ـ ووضع عليها أصبُعَه، ثم قال ﷺ: يقول اللَّهُ تعالى ـ يعني في الحديث القدسي ـ: ابنَ آدمَ، أنَّى تُعجزني وقد خلقتُك من مثلِ هذه؟ ـ.

أي من نطفة قذرة تشبه هذا البصاقَ ـ حتى إذا سوَّيتُك وعَدَّلتُك ـ أي أصبحتَ إنساناً سويَّ الخِلقة، معتدل القامة ـ مشيتَ بين بُرْديك، وللأرض منك وئيدٌ ـ.

أي مشيتَ زاهياً متكبِّراً وللأرض منك ثِقَلٌ وصوت ـ فجمعتَ ومنعتَ ـ أي جمعت المال، وبخلتَ في إنفاقه ـ حتى إذا بلغت التراقي ـ أي وصلت الروحُ وقت النزع إلى الحلقوم ـ قلتَ: أتصدَّقُ، وأنَّى أوانُ الصَّدقة)[1]؟.

توضيح معنى الآيات الكريمة

ومعنى الآيات الكريمة: أو لم ينظر هذا المنكر للبعث، أنَّا خلقناه من شيء مهين حقير، هي النطفةُ (المنيُّ) الخارج من مخرج النجاسة؟ فإذا هو شديد

(١) أخرجه أحمد في المسند، وانظر تفسير ابن كثير ٣/ ١٧١ والحديث من الأحاديث القدسية الشريفة.

الخصومة والمجادلة لربه، ينكر قدرتَه، ويكذِّب بالبعث بعد الموت!؟

أفليس الإلٰهُ الذي قَدَر على خلقه من نطفة، قادراً على أن يعيده إلى الحياة مرةً أخرى؟ وضرب لنا المثَلَ، بالعظم البالي الرميم، ونسيَ نفسَه، حين خلقناه من نطفة قذرة، فأوجدناه بعد العدم.!

نسيَ خَلْقَه العجيبَ، وأخذ يجادل ربَّه بالباطل، يقول: من يُحيي هذه العظام، وهي باليةٌ أشدّ البِلى؟ من يعيد لها الحياة، وهي ذرات من رفات، متفتتةٌ متلاشية؟ لا جلد لها، ولا لحم، ولا عصب؟

قلْ يا أيها الرسول لهذا المنكر الكافر، الجاحدِ لقدرة اللَّهِ: الأمرُ يسيرٌ إذا فكَّرت بمنطقِ العقل، يخلُقها ويحييها الذي أوجدها من العدم، وأبْدَع خلقها وتكوينها، فخلقها أول مرة، فهو على إعادتها قادر، فالقادر على البداءة، قادر على الإعادة.!

بمثل هذا المنطق البديع، الفائقِ في التمثيل، بين بدء الخلق وإعادته، قامت الحجة القاطعة، على قدرة رب العزة والجلال، على إعادة الحياة مرة ثانية بعد الموت، لهذا الكافر الجاحد، وهذا التمثيل من أعظم البراهين الدامغة، التي تقصم ظهر الباطل، ولله المثلُ الأعلى وهو العزيز الحكيم ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ شَيْـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢]!!

* * *

قصة عجيبة
رواها البخاري ومسلم

ومما يدلُّ على القدرة الإلٰهية في إعادة خَلْق الإنسان بعد موته، ما رُوي في الصحيحين: أن رجلاً أفرط على نفسه في الذنب، فلما دنت وفاتُه، جَمَع بنيه، فقال لهم: أيَّ أبٍ كنت لكم؟ فأَثْنَوا عليه خيراً، فقال لهم: إني لم أدَّخِرْ عند اللَّهِ حسنةً، فواللَّهِ لَئِنْ قدَرَ اللَّهُ عليَّ، ليعذِّبنِّي عذاباً لا يعذِّبُه أحداً من العالمين!!

فإذا أنا مِتُّ فخذوا جُثَّتي فاحرقوها، ثم اسحقوها سحقاً شديداً، حتى تصبح ذراتٍ ناعمة، ثم خذوا نصفها فألقوه في البحر، وخذوا نِصْفَها الثاني فألقوه في البَرِّ، في يوم شديد العواصف!!

ففعل بنوه ما أوصاهم به أبوهم، فأمرَ اللَّهُ البَرَّ أن يجمع ما فيه، وأمر البحرَ أن يجمع ما فيه، ثم قال له: ﴿كُن﴾ فإذا هو حيٌّ بين يدي أحكم الحاكمين!!

فقال اللَّهُ له: ما حَمَلك على ذلك؟ فقال: مخافَتُك يا رب، فما تلافاه اللَّهُ أن غفر له[1].

من قَتَلَ الشقيَّ أُبيَّ بنَ خَلَف؟

هذا الشقيُّ الفاجر، كان بمكة يكيدُ للنبيِّ ﷺ، ويتوعَّدُه كلَّما أبصره، ويقول له: يا محمد إنَّ عندي فَرَساً، أعلِفُه كلَّ يوم صاعين من ذُرة، أقتلُكَ عليه!

فكان رسول اللَّه ﷺ يقول له: بل أنا أقتلك إن شاء اللَّه تعالى!!

(١) هذا الحديث أخرجه البخاري ومسلم.

فلمَّا وقعت الهزيمةُ بين المسلمين، بعد ذلك النصر المبين، في (غزوة أُحد) وأُفرِدَ النبيُّ ﷺ، مع عَدَدٍ يسير من أصحابه، أدركه (أُبيُّ بنُ خَلَف) وهو يصيح: أينَ محمد؟ لا نجوتُ إن نجا!؟

أراد بعضُ المسلمين أن يحيطوا بالشقي ويقتلوه، دفاعاً عن رسول اللَّه ﷺ، فقال لهم الرسول الكريم: دعوه يقتربْ منِّي.!

فلما دنا عدوُّ اللَّه من رسول اللَّه، وهو شاهرٌ سيفه يريد الفتك برسول اللَّه ﷺ، تناول رسولُ اللَّهِ الحربةَ من (الحارث بنِ الصُمَّة) فلما صارت في يده، انتفَضَ ﷺ انتفاضةً، تَطَايَر عنها من حوله من الناسِ، تطايرَ الشعر عن ظهر البعير، ثم استقبله فطعنه في ترقوته، من بين الدِّرع والخوذة ـ التي تُلبس في الرأس ـ طعنةً أليمة، تدحْرَجَ بها عن فرسه مراراً.!

وأقبلَ عليه جماعته فحملُوه، فاحتقن الدمُ في عنقه، فقال لهم: قتلني محمدٌ وربِّ الكعبة! فقالوا له: واللَّهِ ما بك من بأسٍ، إنما هي خَدْشَة يسيرة تزول.!

فقال لهم: إنه قال لي بمكة، أنا أقتلك إن شاء اللَّه، فواللَّهِ لو بصق عليَّ لقتلني!!

وكان يخور خوار الثور، ويقول: لو كان الذي بي من الألم، ما بأهل ذي المجاز لماتوا جميعاً، فمات عدوُّ اللَّه في الطريق، وهم راجعون به إلى مكة بمكان يسمى «سَرَف» واستقرَّ في نار الجحيم، وكفى اللَّه المؤمنين طغيانه وشرَّه!؟[1].

هذه نهاية الطغاة المجرمين، المستهزئين برسول اللَّه وبدين اللَّه، وصدق اللَّه العظيم حيث يقول: ﴿إِنَّا كَفَيْنَاكَ الْمُسْتَهْزِئِينَ * الَّذِينَ يَجْعَلُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ * وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ * فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ * وَاعْبُدْ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأْتِيَكَ الْيَقِينُ﴾ [الحجر: ٩٥ ـ ٩٩].

لقد كفى اللَّه رسولَه والمؤمنينَ، شرَّ هؤلاء الكفرة المجرمين، وحقَّق

(١) انظر سيرة ابن هشام ٢/ ٨٤ زاد المعاد لابن القيم ٢/ ٩٧ والرحيق المختوم ص٣٢٢.

وعده بنصرة دين الإسلام، ونصرة أنبيائه وأوليائه على أعدائهم، تحقيقاً لوعده الكريم القاطع ﴿إِنَّا لَنَنصُرُ رُسُلَنَا وَالَّذِينَ ءَامَنُوا فِي الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ يَقُومُ الْأَشْهَٰدُ ۝ يَوْمَ لَا يَنفَعُ الظَّٰلِمِينَ مَعْذِرَتُهُمْ وَلَهُمُ اللَّعْنَةُ وَلَهُمْ سُوٓءُ الدَّارِ﴾ [غافر: ٥١، ٥٢] والحمد لله في البدء والختام.

تم بعونه تعالى وتوفيقه كتاب
صفحات مُشرقة من حياة الرسول ﷺ وصحابته الأبرار

وكان الانتهاء منه في غرة شهر رجب سنة ١٤٢٥هـ في البلد الحرام (مكة المكرمة) حفظها الله ورعاها، وصانها من كل سوء ومكروه، وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله وسلم على سيد الأنبياء والمرسلين، وآله وصحبه والتابعين.

خادم الكتاب والسنة
محمد علي الصابوني

obeikandl.com